الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في اللغة العربية وآدابها
تخصص لسانيات عامة :
والموسومة بـ :

أسلوب التّمثيل في القرآن الكريم
دراسة بلاغية

من إعداد الطالبة:
– ناصري عائشة

إشراف الدكتور :
– يحيى شعيب

لجنة المناقشة:

الدكتور:.....رئيسا
الدكتور:.....مشرفا
الدكتور:.....مناقشا

السنة الجامعية: *1438هـ-1439هـ/2017م-2018م*

شكر وعرفان

الحمد لله صاحب الكمال والتيسير والسناء والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الأنبياء والرسل نبي الهدى الذي امتدحه رب السماء وأيده سبحانه وتعالى
بمعجزة الإسراء
أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من مدّني من منابع علمه بالكثير ولم يبخل يوما عليّ بمديد المساعدة إلى الأستاذ
"يحي شعيب"
كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى كل الأساتذة الذين علموني من بداية مسيرتي الدراسية حتى نهايتها كما أتقدم بجزيل الشكر إلى زملائي وكل من شاركني العناء وساندني بالدعاء وشجعني على مواصلة الدرب فيستحقون مني كل العرفان والتقدير.

إهـــــداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك،و لا يطيب النهار إلا بطاعتكّ،ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك،ولا تطيب الآخرة إلا بشكرك.

اهدي عملي المتواضع :

إلى من شقّ من أجل أن يفتح لي درب الحياة

إلى من انتظر وأمل في هذا النجاح بفارغ الصبر

إليكَ يا "أبي"

إلى القلب الحنون الذي غمرني بالعطف وبالحنان

إلى من أنارت إلي دروب الحياة ببركة الدّعاء

إليكِ يا "أمي"

إخوتي وأخواتي كل باسمه وأبنائهم

إلى كل زميلاتي من قريب وبعيد

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذّكرتي

دعاء

. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

ـ اللهم آتي نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها.

ـ اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفاجعة نقمتك، وجميع سخطك.

ـ اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء والصبر عند القضاء ومنازل الشهادة وعيش السعداء، والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء .

. اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير علمي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه.

المقدّمة

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان، أحاط بعلمه جميع الكائنات، ودبّر بمشيئته أمر جميع المخلوقات، وبسط الأرض ورفع السماء، والصلاة على من تبوأ من الفصاحة ذروتها، وعلى أصحابه المهتدين نجوم الإقتداء السائرين.

إنّ البلاغة هي إحدى الوسائل العلمية التي تساعد النّاس لمعرفة معاني القرآن الكريم الدّقيقة وفهمها،وإنّ للبيان منزلة عظمى في سمائها، لتشعب مباحثه وكثرة أبوابه التي من شأنها أن تبرز المعنى وتظهره في أبهى صورة وأكثر وجه من وجوه التعبير الجميل عن للمعنى القائم في نفس صاحبه، عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية.

وكان التّمثيل من أهم المباحث البيانية الّتي زخرت بها النصوص الأدبية عموما والنص القرآني على وجه الخصوص،ولأنّ هذا المصطلح جمع بين دفّتيه فنّين من فنون البلاغة فقد ارتأينا أن نخوض دراسته في أعلى النصوص بلاغة وبيانا القرآن الكريم.

ولقد سبق وجود دراسات حول التمثيل تحت عنوان الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، والتشبيه التمثيلي في الصحيحين، إلا أن هذا البحث أراد أن يسلط الضوء على مصطلح (التمثيل) بمعناه الشامل لكل الفنون البيانية الّتي يحتويها ويدرسها ويرصد دلالاتها ضمن نصوص القرآن.

وهذا المصطلح سنجده يضم بين دفتيه كلاً من التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، والجديد في هذا البحث هو محاولة ضبط مصطلح (التّمثيل) وجعله جامعاً بين جزء من الشبه وجزء من الاستعارة، فهذا البحث حاول أن يدرسه وفق هذا الفهم، فيجمع بينهما ويوسع دائرة دراسته ليكون هو أول بحث يدرس التشبيه والاستعارة في ظل التمثيل في القرآن الكريم.

وعليه نطرح الإشكال التالي:ما مفهوم التّمثيل عند العرب؟ وفيم تتمثّل دلالات التّمثيل القرآني عبر كلّ من التّشبيه والاستعارة؟

وقد اعتمد البحثُ المنهج الوصفي التّحليلي للإجابة على هذه التساؤلات.

كما كان السّبب الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع هو الرّغبة والاجتهاد في بستان العلم، لجمع باقة عطرة نضرة لتقديمها للمقبلين على دراسة مذكّرتي، إظهارا للصفحة المشرقة في تراثنا،لما يحتويه من شتّى أصناف المعرفة، وبيان إعجاز الذّكر الحكيم وأساليبه وإبراز أهمية التّمثيل في بيان المعاني وتصويرها بدقّة،ثمّ إثراء المكتبة من الناحية البلاغية.

أمّا فيما يخص الصعوبات فتتمثّل في صعوبة مسلك هذا النّوع من الدّراسات، نظرا لأنّ النص المتّخذ للإجراء التّطبيقي هو القرآن الكريم.

ومن أهمّ الدّراسات السابقة وجدنا المرجعين التّاليين:

-الاستعارة التّمثيلية في القران الكريم، صفاء حسني عبد المحسن الترك، جامعة النجاح الوطنية للدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2011.

-التشبيه التّمثيلي في الصّحيحين، فايزة حسن صالح يحي احمد، رسالة مقدّمة لنيل الماجستير في البلاغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1985-1986.

أما الخطّة التي اتبعناها فهي كالآتي:

المقدمة.

المدخل: تناولنا فيه الحديث عن الصورة البيانية في القرآن الكريم.

الفصل الأول: التمثيل مفهومه وقيمته البلاغية، وضم مبحثين.

أولهما: تمثل في مفهوم التمثيل في البلاغة العربية (لغة واصطلاحاً)

ثانيهما: أهمية التمثيل البياني وأسباب تأثيره،

أما الفصل الثاني فدرسنا بلاغة الأساليب التمثيلية في القرآن الكريم هو الآخر ضم مبحثين هما كالتالي:

الأول: درسنا هندسة وموضوعات التشبيه التمثيلي في القرآن وموضوعاته.

الثاني: تناول هو الآخر هندسة وموضوعات الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم وموضوعاتها

ثم خاتمة اشتملت على أهم النتائج المتحصل عليها في البحث.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفّقنا في وضع لبنةٍ جديدة من لبِنَات البحث البلاغي،وندعو الله أن يوفّقنا لآفاق علمية جديدة وسديدة.

المدخل :

الصّورة البيانية في القرآن الكريم

يُعتبر مفهوم الصورة عند القدماء مفهوماً قديماً، فقد انبرى له النقاد العرب؛ فإنّ تحديد مشكلة هذا المصطلح مازالت تخلق تضارباً في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ، ولعل ذلك من أهم المصطلحات التي شاع ذكرها في مجالات النقد والأدب. إذ يقول ابن الأثير معرفاً إياها:" الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته"[1].

والصّورة الأدبية هي ما يتخيله الذّهن والعقل أي هي ما ترسمه لذهن المتلقي كلمات اللغة شعر كانت أو نثراً، ويضيف الشيخ عبد الله العلايلي " أنّ الصورة جمع صور عند أرسطو تقابل المادة، وتقابل على ما به وجود الشيء أو حقيقته أو كماله، وعند "كانط" صورة المعرفة وهي المبادئ الأولية التي تشكل بها مادة المعرفة، والصورة هي ما تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر"[2].

وقبل أن تصبح الصورة أدبية أو فنية على الفنان أن يمر بمرحلة الإدراك الحسي الذي يقصد به الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو، وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس.

كما تحمل الصّورة معنى الاستعادة الذّهنية لمدرك حسّي في الذّهن غير موجود في الإدراك الموجود، ويوضح ذلك حازم القرطاجني قائلاً:" إنّ المعاني هي الصّور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء والموجودة في الأعيان، فإن كل شيء له وجود خارج الذّهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن ذلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر عن تلك الصّورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم"[3].

[1] – لسان العرب، ابن منظور، المجلد 4، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ص86.

[2] – الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف نموذجاً، دراسة جمالية، بلحبشي نصيرة، رسالة لنيل الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2005- 2006، ص16.

[3] – المرجع نفسه، ص23.

وتكمن دّقة التصوير وروعته في إثارة الحواس المختلفة والعواطف المتباينة، مما يثبت الصّورة في الإدراك والوجدان، فالعلماء قد بذلوا هذه الجهود في الإعجاز القرآني من أجل الوقوف على أسرار هذا النبأ العظيم والكشف عن مواطن وكمال في الصورة الرائعة.

فقد ارتأينا في هذا البحث الإشارة إلى الصورة في البيان التي ترد في صور التمثيل في إعجاز القرآن الكريم من التقسيمات المنطقية والتصنيفات البلاغية، وهي تشمل التشبيهات والاستعارات وكنايات والمجازات على اختلاف أنواعها وأشكالها.

ولاشك في أن دقّة التّصوير باستيفاء عناصره الضرورية، لتكون الصورة واضحة في نفس القارئ والسامع، هي الوسيلة الفعالة لتأثير في الفكر والوجدان، لأن أي نقص أو لبس في التّصوير سينتج عنه ضعف التأثّر وعدم الاكتراث من جانب الكثيرين ولذا كان من أهمّ ما يعنى به في الأدب هو الفنّ القولي حسن التّصوير ومراعاة الدّقة في التعبير.

وتمثيل ذلك من القرآن الكريم سورة الهمزة، قال الله تعالى: ﴿ ﴾ (الهمزة: 1-9)

فصورة الهمزة اللّمزة الذي يهزأ بالناس ويلمزهم، والذي جمع مالاً وعدّده، صورة هذا لمتعالي الساخر تقابلها صورة المنبوذ؛ والمنبوذ في الحطمة، التي تحطم كل ما يلغى فيها، فتحطم كبريائه وقوته وجاهه وهي النار التي تطلع على فؤاده الذي ينبعث منه الهمز اللّمز، وتخفي فيه التعاظم والكبرياء، وتكملة ذلك المنبوذ المحطم المهمل نجد هذه الحطمة مقفلة عليه، لا يتخذه منها أحد ولا يسأل عنه فيها أحد.

وهذا مدى تأثير النّفسي للقرآن، أو بتعبير أدّق، مدى عناية السّورة القرآنية بهذا التّأثير، فإنّ مجال التّمثيل رحب فسيح، كما أن مجال التأثير في النفوس طلق لا حدود له ولا قيود له. إضافة إلى ذلك هذا التّصوير الكامل الواضح، حيث يكمل الصورة توالي الصّفات، كما يزيدها وضوحاً وجمالاً و تأثيراً.

وقد ظهرت الصّورة عند عبد القاهر الجرجاني على أنها تمثيل وقياس ويقول :" واعلم أن قولنا (الصّورة) إنّما هو التمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكأن تبين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لما تكون في ذلك، وكان الأمر في المصنوعات كأن تبين خاتم من خاتم وسوار من سوار ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين"[1].

ويُضيف سيّد قطب التّصوير الفني في القرآن أنه " تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخيل، كما أنه كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللّون في التّمثيل "[2].

ويوضّح أكثر قائلاً: " وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونعم العبارات وموسيقى السيّاق في إبراز صورة من الصّور، تتملاها الأذن والعين، والحس والخيال والفكر والوجدان"[3].

لقد استخدم القرآن الكريم طريقة التّصوير في نقل المعاني الذّهنية إلى معان حسّية عندما يقرأ القارئ آية من الآيات يرتسم المعنى في خياله، ويصبح صورة شاخصة حية متحركة متناسقة للمعنى. وبذلك تبرز الصورة البيانية الجمال الفني في القرآن الكريم للإطلاع على أسرار البيان فيه ومعرفة معجزة الرّسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاباً مبيّنا، المعجز بنظمه، إذا لا يمكن الوقوف على ذلك إلاّ بإحراز علم البيان والاطلاع على غوره.

[1] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الجانجي، ط3، دون بلد، 1992، ص508.

[2] – التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، د.بلد، د. سنة، ص33.

[3] – المرجع نفسه، ص 33.

ويؤكّد سيّد قطب قائلاً:" التّصوير في القرآن تصوير حي، منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجرّدة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمساحات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة"[1].

إذاً فإن الصورة البيانية توجز التعبير في كلمات قليلة، غزيرة الدلالة عميقة الإيحاء. من الحوادث الواقعة، مشاهد الطبيعة، ومشاهد العذاب والتعليم يوم القيامة في صور مادية محسوسة، لترسيخ المعاني في أعماق النفس.

وعلى قدر تعبير الصورة وتأثيرها يتوقف قبولها لدى المتلقي، فهي تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره، وأغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً، فيه طرافة ومتعة وإثارة.

وسنرى أن هذه الصورة التي تتولى نقل التجربة أو المشهد، وتقوم بترجمة المعاني والأفكار لا تعتمد فقط على الإيحاء وإثارة الخيال، بل إنها تنتظم أموراً بها تتم الصورة كعمل أدبي، وفن قولي جميل ينشأ عنه تيار متدفق من الصور الذهنية، ومن الفكر، ومن العواطف والوجدانات، ومن هذه الصور نذكر:

1- التشبيه:

وهو من صور البيان الرائعة، تلك التي تتخذ من التشبيه طريقاً دقيقاً مصوراً ومعبّراً عن كل ما تدركه الوجدانات أو تنفعل له الأحاسيس.

والتشبيه في حقيقته التأثيرية:" ما هو إلا لمح الصلة " بين أمرين من حيث وقعهما النفسي، وبه يوضح الفنان شعوره نحو شيء ما توضيحاً وجدانياً حتى تحس السامع، بما أحس به المتكلم، فهو ليس دلالة مجردة ولكنه دلالة فنية.

[1] - المرجع السابق، ص33.

وتمثيل ذلك قولك: ذاك رجل لا ينتفع بعلمه، وهذا سوى خبر مجرد عن شعورك نحو قبح هذا الرجل، فإذا قلت: إنّه كالحمار يحمل أسفاراً، فقد وصفت شعورك نحوه ودللت على احتقارك له وسخريتك منه.

ولا شك في أن تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو لمعناه، خاصة إذا كان التشبيه رائعاً جيّداً يدرك به المتفق ما بين الأشياء من صلات، يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره ومن ثم يثير في النفس مشاعر الاستحسان والارتياح، لما في تصويره من طرافة ومتعة.

فالتشبيه بأنواعه المتعددة من أكثر الأنواع البيانية ظهوراً في النصوص القرآنية والأدبية فتناوله الكثير من الدارسين لتعريفه وتحديد مفهومه، فقد اتفق علماء البلاغة على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وذلك أنه يزيد المعنى وضوحاً، وبكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغنوا عنه. فالتشبيه أكثر أنواع الأساليب البيانية إطراءاً في كلام العرب عامة، فضلاً عن أنه طريق الاتساع من حيث أنه يسهل على الذاكرة عملها، فيغنيها عن اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حدة بما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي يستطاع بالقليل منها استحضار الكثير.

1. ويتّضح أثر التشبيه وبلاغته من خلال الوقفات التحليلية البلاغية في الآيات الكريمات المتحدثة عن القرآن، المشتملة على التشبيه لمعرفة أسراره البلاغية والجمالية، يقول عز وجلّ: ﴿ ﴾ (لقمان: 7).

وفي هذه الآية بيان لحالة الرجل الذي تعرض عليه آيات الله، وتأتيه وهو في مكانه من يسعى إليها ومع ذلك يعرض عنها ويستكبر كفراً بها، وجحودا لها، وذلك هو الظلال المبين. فجاء نظم الآية وأسلوبها مصوراً هذا المعنى أتم التصوير، وذلك من خلال بداية الآية بأسلوب الشرط وقد بين هذا

الشرط لما تضمن فعله وجوابه واقع هذا الرجل مع الآيات التي تتلى عليه، وهو يعرض عنها ويتولى مستكبراً عن سماعها.

والتشبيه الوارد في قوله : "كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراَ " لتوضيح حالته أتم إيضاح مع القرآن الكريم، فكأن هذا الرجل المعرض عن الآيات المستكبر عنها لم يسمعها أصلاً وإن كان في أذنيه وقراَ، وهو الثقل والصمم، المانع من السماع ومن كانت حالته هذه فأنى له أن يلفت أو ينتفع من هذه الآيات وما جاء منها، وبعد ذلك بين قوله تعالى المآل الذي سيؤول إليه ألا وهو العذاب المؤلم الموجع.

وفي قوله عزّ وجل : ﴿·♍◑ •⌦•✞♦✎ ▤✐✹⊙⑩♉⇖ ⍓⑨☪♉⇖ ★✎☊✃ ✐⌦•✞⍓☺☒✍ ♦⊳⍓⑩✃♦⇗ ☎ ⏀←○•◑■◘⍓⌘ ♊♉✎ ⍐⊛✃♦❷➔✍ ○⊳➔⊳ ⌂♦☊•♦✌ ⏀←○•⑆ ♊⇗✍ ⏀•▫ ♦▤⇗❑♌⇖ ⍻♎♋✐﴾ (آل عمران: 59).

وفي هذا نلمس الجانب الاحتجاجي غالباً على الجانب التشبيهين ففي وجه الشبه قطع لشبه المتحاجين بخلق عيسى عليه السلام – دون أب مع اعترافهم بخلق آدم دون آدم وأم. وما جاء به التشبيه أصبح حاجة ضرورية لإقامة الدليل إثبات الحجة. لأن عيسى قد شبه بآدم بأحد الطرفين وهو الخلق دون أب. لكن آدم زاد عليه بالطرف الآخر، فاقتضى حسم النزاع.

لذا يرى الأستاذ محمد المبارك أن هذه الطريقة في المثل القرآني نوعين من المعرفة : فكرية وفنية " فهي من الوجهة الفكرية : نوع من القياس والحكم بالنظائر والأشباه، ومن الوجهة الفنية : نوع من التشبيه الموسع على صورة جذّابة "[1].

إن التشبيه موقعاً حسن في البلاغة وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدانته البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبها توكيداً أو فضلاً ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو واسع النطاق فسيح الخطوة ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعّر المسلك غامض المدرك دقيق المجرى غزير الجدوى،

[1] – الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، العراق، 1981، ص169.

فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة التشبيه. فقد خرجت الاستعارة والتشبه الضمني في بعض صور التجريد، وهو ما لم يكن تجريد الشيء عن نفسه.

فقد عني الباحثون البلاغيون بدراسة التشبيه عناية واضحة وذلك بتصفح كتب التفسير والأدب والشعر، وهذا الاهتمام راجع إلى شيوع هذا اللون البياني وجريانها في فنون الكلام فضلاً عن وجودها في القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

إضافة إلى أن أكثر الأنواع البلاغية جذباً للانتباه وإثارة الإعجاب، ولا غرابة أن يكون التشبه من أكثر الصور الفنية.

2-الاستعارة:

وهي من أكثر استعمالات اللغة فاعلية، فتدخل على جانب التصوير والتأثير، وفي تطوير اللغة وبثّ الحياة فيها، إذ تتصدر بشكل كبير بنية الكلام الإنساني، فتعدّ عاملاً رئيساً في الحفز والحث وأداة للتعبير، ومصدراً للترادف تعدد المعنى، ومتنفساً للعواطف والمشاعر والانفعالية ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات. فهي تحقق تأثيراً داخل النص وتفسح المجال بشكل واسع أمام المبدع لتكوين لغته الخاصة من خلال لحظات الكشف لتجليات النص.

ولما كانت الاستعارة تشبها حذفت أداته، كان التأكيد على الشبه الاستعاري ناجماً عن اعتبار التشبيه في هذا الجزء من الاستعارة هو الصورة التي يتخذها الشكل أو الصيغة التي تمثل النموذج الأدبي؛ فقد بلغت حدّ الإعجاز في القرآن الكريم فيه، فهي لون من ألوان التصوير التي اتخذها، وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه. فقد سجلت حضوراً كبيراً فهو " يعمد إلى الصورة

الاستعارية التي رسمها فيعطيها ألوانها وظلالها، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة في الحوار فإذا هي شاخصة تسعى "[1].

ومن شواهد الاستعارة في الآيات الكريمات في القرآن، قوله تعالى: ﴿ ❷🖋🙾✂ 🗐 🖂●🇽❷🡽②🡸🖋🙾 🖂🖮🡇⓿•🙾🞩❶ 🡸❍❶□✡🡇🙾♦❽✡❐🕮 🡼🖬❶♦🖋🡇🗎 🞩❻❑ᘓ✡🙾🙰✂ ❼■🖫🞩❶ 🙾🖋❶🖂☺🡺🖬🗠→🙾🙰✂ ⌘Ⅱ🙾✎ "□🙰□🕞🙾🙰✂ 🡇❶❶◆❸🡇❶ 🗐❼■🖫🞩❶ ⇔🏳🞩℁🞩■🖃◆❻ 🖋🙾🡇❶🞩🖂🞩🖃 ﴾ (إبراهيم: 01).

ومعنى هذا الغاية، وأشار بدلالته حرف اللام في قوله (لتخرج) ودلالته لتعليل فغاية نزول القرآن الكريم والهدف المنشود من ورائه هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد قرئ (لتخرج) بالتاء والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالياء والمراد به القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى، وفي إسناد إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم مجاز عقلي علاقته السببية، لكونه صلى الله عليه وسلم مبلغ القرآن وتلاوته عليهم، وقد ذكرت لفظتا (الظلمات والنور) على جهة الاستعارة للكفر والإيمان، والضلالة والهدى، إلى أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله الكريم مخبر إيّاه أنّه أنزل عليه القرآن ليخرج به من آمن واستحسن به من الكفر الذي هو كالظلمة، بل أشدّ إلى الإيمان الذي هو كالنور بل أشدّ إضاءة وإشراقاً.

والاستعارة في هذه الآية تصريحيه:

وتكمن بلاغة هذه الاستعارة ودلالتها في إبراز المعاني وإيضاحها فقد أظهرتها في صورة محسوسة حية متحركة كأن الغير تراها، واليد تلمسها، فقد استعير في هذه الآية الظلمات للكفر والضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منهما، كما استعير النور بالإيمان والهدى بجامع الهداية والرشاد فيهما معاً. وفي هذه استعارة نقود أصحابها إلى الظلمات وهي النار في حين أن النور يقود إلى دار الكرامة والجنة، وهذا قد قوة وجمالاً.

[1] – بلاغة أساليب البيان في الآيات المتحدثة عن القرآن، زينة عني عبد الحسين الخفاجي، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، د.بلد، عدد03، 2013، ص258.

وهناك بعض الإشارات البلاغية التي وردت في آيات القرآن الكريم وهي تختص بالاستعارة ومدى بعدها، وغورها في تعميق الصور التي تحيط بالأسلوب القرآني والكشف عن أفكاره، ومعانيه، ومثال ذلك قوله تعالى﴿ ﴾ (مريم: 4).

والمستعار هنا هو الاشتعال والمستعار منه هو النار، والمستعار له هو الشيب والجامع بين المستعار له مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب، ولابد للاستعارة من قرينة تدل على أنها ليست تعبيراً حقيقياً وهي القرينة المانعة من أداء المعنى الحقيقي وهي هنا إسناد الاشتعال الشيب وتكون العلاقة المشابهة دائماً.

فالاستعارة طريقة للتعبير والتصوير، والقرآن أسلوب مصور، يميل إلى الأفكار المجرّدة، فيمنحها التجسيم والتشخيص تتحرّك في نطاق الحياة، وتتميّز ذلك في قوله ﴿ ﴾ (الإسراء: 23-24).

وفي هذا تصوير فلسفي، فلذل جناح، وكلمة الذل توحي بالانكسار والضعف وكلمة الجناح ترفع من الانكسار والضعف، إذن فهو ذلّ أصيل لأنه في مقام جميل، وهذه المناسبة الدقيقة قوله (واخفض) التي تشعر الإنسان أن ينزل إلى مستوى أبويه الضعيفين، مطلاً إياهما باللين، والرحمة والحب والإشفاق.

وحكمة الاستعارة حسب الزركشي في هذا أنّه " جعل ما ليس بمرئي مرئياً لأجل حسن البيان "[1]، ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين، بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركباً احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى فاستعير الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل إلا من خفض الجناح، لأن من ميل جانبه إلى جهة السفل أدنى ميل، صدق عليه أنه خفض جانبه.

3-الكناية:

الكناية من صور البيان التي لا يقوى عليها إلاّ كل بليغ متمرس وهي " ضرب من إخفاء المعاني وتخبئها وراء روادفها لتحقيق أغراض يقصد إليها المتكلم، بحيث يترك التصريح بالمعنى الذي يريده، ويعمد إلى روادفه وتوابعه فيومئ بها إليه"[2].

فهي شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز فالكناية كل لفظ دل على معنى معين يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز.

فطبيعة الكناية تتعلق بالمعاني وليست بالألفاظ فلا يكنّى باللفظ عن اللفظ، وإنما بالمعنى عن المعنى. ومن عادة القرآن الكريم التعبير بالكناية عن معان بألفاظ تميل إلى الإشارة والتلميح ليس لسوء ألفاظها، وإنما اختيار الأسلوب الأفضل والتعبير الألطف، ومن هنا تنبع جماليات التعبير بالكناية إذ لابد أن يكون في كل نوع من التعبير البياني جانباً من الجمال يكمن حيناً ويتجلّى أحياناً حسب السياق والنوع البياني، والتصوير بالكناية

" يحس السامع معه جمالاً ويجد للتعبير ما لا يجده للتعبير الصريح، وذلك لأن الكناية تعرض المعنى مصوراً بصورة محسوسة فيزداد تعريفاً ووضوحاً "[1].

---

[1] – الإشارات البلاغية في القرآن الكريم، علم البيان أنموذجا، نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، ماليزيا، السودان، د عدد، د.ت، ص23.

[2] – الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام، نموذجاً، دراسة جمالية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، بلحسني نصيرة، ص65.

وبهذه الطريقة يسمو في القول سمواً لا سبيل لأن يدركه البشر، لأنه قبل أن يصور معنى وفكرة، فإنّه يصور نفساً إنسانية انكشفت حالها له، واطلع على تخبئه من أسرار.

وقد جاءت في القرآن الكريم صور رائعة تحكي عن حال البشر، وما يكمن في خلجات أنفسهم، وجاءت هذه الصور في استخدام أسلوبي رفيع، يهذب النفوس، ويعلمها فن الخطاب، وتهذيب السلوك، وهذه بعض الأمثلة القرآن الكريم التي تستخرج ما في القلوب من خفايا وأسرار، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الزخرف: 18).

وفي هذه الآية الكريمة جاءت الكناية عن البنات في سياق الحديث عن المشركين الذي جعلوا الملائكة بنات الله ، فمن المعروف في عادات الناس أنهم ينشئون بناتهم بما يلاءم طبيعتهن، وذلك بإعدادهن حتى يكن زوجات مالكات قلوب أزواجهن.

وهذه الكناية جاء فيها ذكر الصفات كناية عمن يتصف بها عادة، وهن البنات في قصور الملوك، وفي هذه (الكناية) " إيداعاً تعبيرياً توجيهياً ضمنياً لما يحسن أن تنشأ عليه البنات حتى يكنّ زوجات صالحات مهذّبات[2].

كذلك من أروع الكنايات ما جاء في كتاب رب العالمين قوله تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: 29).

فالغل إلى العنق كناية عن البخل وفي الكناية تصوير محسوس لهذه الصفة الذميمة في صورة منفرة، والبسط كناية عن الإسراف والتبذير وهو تصوير محسوس، يجعل المعنى قويا ومؤثرا.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 66.

[2] – البلاغة العربية، أسسها علومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، الدار الشامية ودار القلم، بيروت، 1996، ج2، ص149.

وقوله تعالى: 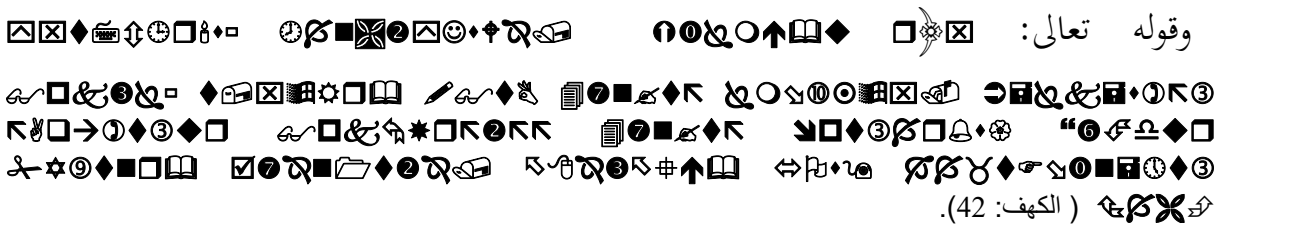 (الكهف: 42).

وقوله تعالى: 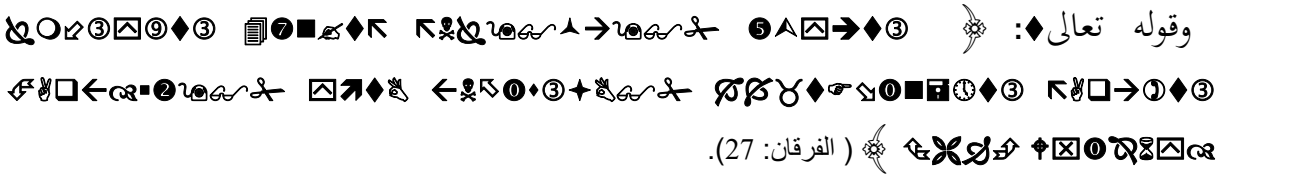 (الفرقان: 27).

فان في الآيتين ندم قد بدا بالأعين تمثل أمام الناظرين بما يصحبه من حركات محسوسة تدل عليه وتشير إليه.

يقول الزمخشري في هذا " تقليب الكفين كناية عن الندم، والتحسّر لأن النادم يقلب كفيه ظهر البطن كما كنى عن ذلك بعض الكف[1].

إن الكناية ألطف أساليب البلاغة وهي ابلغ من الحقيقة والتصريح لان الانتقال يكون فيها من الملزوم إلى اللازم، ولها تأثير في النفس وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامع في غيرها من بعض ضروب الكلام.

[1] – باب البيان، محمد حسن شرشر، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، دون بلد، ط2، د.ت، ص246.

الفصل الأول :

التّمثيل مفهومه وقيمته البلاغية

المبحث الأول: مفهوم التمثيل في البلاغة العربية.

المطلب الأول: المعنى اللغوي.

استقرّ البيانيون على الأصل اللغوي (مَ – ثَ – لَ) في المعاجم العربية على الشبه والمساواة والنظير والتصور والتقدير، فقد عدّه الأصمعي أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة يتضح من قوله:" المثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني كان وهو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ النّد يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية "[1].

أما في معجم ابن منظور فمعناه التشبيه والتسوية يقال: هذا مِثله ومَثَّله كما يقال شبيه وشبَّهَ فإذا قيل مِثله على الإطلاق فمعنى يسدّ مسدّه وإذا قيل هو مثله في كذا وكذا فهو مساوٍ له من جهة دون جهة[2].

فهو بذلك يساوى بين المثَل (بالفتح) والمِثل (بالكسر)، ويجعلها مترادفين واحد وهو المساواة.

في حين أنّ الرازي يفرق بين المصطلحين حيث يرى أن المثَل تعني المشاكلة من بعض الجهات والمِثل تعني المساواة في جميع الجهات وتمام الماهية[3].

وقد لا يوجد مساواة بين التمثيل والتشبيه إنما يراد تقوية الصفة والمبالغة فيها كأن تقول: زيد مثل الأسد، فلا توجد مساواة، بل يراد هنا المبالغة في الصفة ألا وهي القوة والشجاعة عند زيد.

---

[1] – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، د.ط، دار المعرفة للطباعة للنشر، د.ت، ص462-464.

[2] – لسان العربي، ج11، ابن منظور محمد بن مكرم، دار المعارف، بيروت، لبنان، مادةَ مَثَلَ، ص610.

[3] – البرهان في علوم القران،الزركشي،بدر الدين محمد بن عبد الله،،تعليق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،2007،ص259.

وفي معجم المحيط نجد أن المِثل (بالكسر) شبّه الشيء في المثال والقدر والخلقة والمِثلات: الأشباه والنظائر والتمثيل تصوير الشيء[1].

كما ترد معان أخرى جمة في المعاجم قد يُظَنُّ أنها بعيدة التشبيه والمساواة والنظير وبقليل من التمعن يتضح أنّها من المصدر نفسه وتصب في المورد عينه.

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي.

من خلال التعريف اللغوي نلاحظ الارتباط والتداخل بين مصطلحي التمثيل والتشبيه، وهذا ما جعل البلاغيين يختلفون في نظرتهم إلى المصطلحين.

وبناءً على هذا ينقسم حديثنا عن التعريف الاصطلاحي إلى محورين:

1- اتجاهات البلاغيين حول مصطلح التمثيل:

أ-اتجاه الفصل بين التمثيل والتشبيه:

من رواد هذا الاتجاه أبو عبيدة (208هـ) وهو عنده التشبيه أو تشبيه التمثيل في قوله تعالى:

﴿ ﴾ (التوبة: 109).

ومجاز الآية مجاز تمثيل فكل ما بُني على الكفر والنفاق فهو على شفا جرفٍ، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه.

[1] - المرجع السابق، ص09.

ولعلّ أوّل من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه قدامة بن جعفر، وهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى قال في تعريفه " وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلا ماً يدل على معنى آخر وفي ذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد يشير إليه "[1].

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا.

ولوا أنّي أذنبت ما كنت هالكاً على خصلة من صالحات خصالكا[2].

والمراد في قوله في البيت الأول، أنه كان عنده مقدماً فلا يؤخره أو مقرباً فلا يبعده أو مجتبي فلا يتجنّبه إلى أن قال كان في يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى ذهاباً نحو الأمر المشار إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإعراب في الدلالة والإبداع في المقالة.

وهذا هو التمثيل عنده، أما التشبيهات المركبة الأخرى فلا تدخل فيه.

والتمثيل عند ابن رشيق انّه ضرب من ضروب الاستعارة فهو المماثلة عند بعضهم وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه إشارة[3]، نحو قول امرئ قيس:

وما ذرفت عيناك إلاّ لتقدحي بسهميك في أعشار قلب مقتل[4].

فمثل عيناها بسهمي المسير المعلى وله سبعة أنصباء، والرقيب له ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينها، ومثل قلبه بأعشار الجزور فتمت له الاستعارة والتمثيل.

---

[1] – فنون بلاغية البيان– البديع، أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975، ص51.

[2] – المرجع السابق، ص52.

[3] – ينظر، البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1958، ص242.

[4] – نقد الشعر قدامة بن جعفر، نقلا عن البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1958، ، ص242.

وذكر أن معنى التمثيل أيضاً معنى التمثيل اختصار قولك (مثل كذا وكذا)

ثم قال:" والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه"[1]

ب–اتجاه الربط بين التمثيل والتشبيه:

ويعتبر عبد القاهر الجرجاني رائد هذا الاتجاه حيث تتجسد دراسته لوجه الشبه على أساس ظهوره أو تأوله، بحيث يؤكد دراسته أن التمثيل خاص والتشبيه أعم منه فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل ومنه فإنّ التمثيل ضرب من التشبيه بحيث هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول كقولك:" هذه حجة كالشّمس"[2]

شّبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما سبق الشيء بالشيء، من جهة ما أرادت من لون أو صورة أو غيرهما إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم إلاّ بالتأول

فالتشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه صورة مأخوذة منتزعة من أشياء عدّة كقول البحتري:

هو بحر السماح فازدد منه قرباً تزدد من الفقر بعدا[3].

وهذا على رأي الجرجاني تشبيه عام لأن البحتري فيه يشبه ممدوحه بالبحر في الجود والسماح. التشبيه التمثيلي هو " ما لا يكون وجهه أمراً بيّناً لنفسه، بل يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر، لأنّ المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الظاهرة وذلك الضرب يتحقق فيما إذا كان الوجه ليس حسياً

[1] – البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، جمهورية العراق، ط2، 1999، ص200.

[2] – دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة، عبد القاهر في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير، عبد الهادي العدل، ضبط عبد السلام أبو النجا سرحان، دار الفكر الحديث، د.ط، د.ت، ص11.

[3] – في البلاغة العربية علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1958، ص63.

ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية لكنه يكون عقلياً غير حقيقي، أي غير متقرر في ذات الموصوف، وهذا الضرب يحتاج إلى التأول والتأمل"[1].

كقول المتنبي:

يهزّ الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب[2].

هو عند عبد القاهر تشبيه تمثيل، لأن المتنبي يشبه صورة جانبي الجيش، أي صورة ميمنة الجيش ومسيرته، وسيف الدولة بينهما وما فيها من حركة اضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما ووجه الشبه هنا ليس صفة مفردة، ولكنه صورة منتزعة من متعدد، وهي وجود حسابين لشيء في حالة حركة وتموج.

أيضاً كقول قيس بن الخطيم:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نوّرا[3] .

وفي هذا تشبيه حسن ولا نقول هو تمثيل، فقد تجمع بين الصورة واللون، فشبّه الثريا بعنقود الكرم المنثور وهنا يكون الشبه محصلاً بضرب من التأول.

وقد شرح الجرجاني ذلك وفصل فيه أن يتركز في أن كل تشبيه يكون الوجه فيه حسياً مفرداً مركباً أو كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية فهو تشبيه غير تمثيلي، أما اذا كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرد أو مركباً غير حقيقي يحتاج إلى تحصيله إلى تأول فهو تشبه تمثيلي.

إذن فإن هذا الفن يستمدّ قوامه من الدراسات التي صنفت وجه الشبه إلى ثلاثة أنواع: مفرد، مركب ومتعدد ويخلط فيما بينهما غير قادر أن يرسخ أساس التمييز بين التشبيه العام والتشبيه التمثيلي

[1] – دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير، عبد الهادي العدل، ص11.

[2] – في البلاغة العربية علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص64.

[3] – أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، دون دار النشر، دون ت، دون ط، ص75.

الخاص، وذلك أن أساس عدم التأول والتأول في التماس وجه الشبه أمر نسبي، فهو يختلف من شخص إلى آخر قد يحتاج إلى تأول وقد لا يحتاج في نظر أي شخص.

في ضوء شواهد جمّة أوردها الإمام عبد القاهر للتمثيل وحللها ملتمساً فيها إطّراء هذا الأصل يظهر أن هذه الطريقة من جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً، ونستنتج حقيقةً هي أن هذا الأساس لا يصح التمييز بين التشبيه الصريح والتشبيه التمثيلي.

فالجرجاني معروف بمنهجيته للتحليل، وقد اعتمد المشاهدة للتمييز بين التمثيل والتشبيه، وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة يراها تارة في المرآة وأخرى على حقيقتها، أما الصريح فإنك ترى صورتين على الحقيقة.

بحيث أن لو افترضنا زوال أوهامنا ونفوسنا عن الصور الأجسام القريبة والبعيدة من الأوصاف الخاصة بالأشياء المحسوسة فلا يمكننا تخيل شيء من تلك الأوصاف في الأشباه المعقولة، فلا تستطيع تصور رجل بعيد من حديث العزة والسلطان، قريب من الجود، حتى يخطر ببالك صورة البدر وبعد جرمه وقرب نوره منك، وليس كذلك الحال في الشيئين يشبه أحدهما الآخر جهة الصورة واللون والقدر[1].

ويؤكد عبد القاهر أنه إذا لم يفصل بين التمثيل والتشبيه فإنه خلط بين التمثيل والاستعارة التمثيلية، أي إذا فصل بينهما فإنّه أبدع في اعتماد مصطلح " الصورة" ملتمساً وجه الشبه بين الطرفين في التمثيل وهذا المصطلح ربما يتضح أكثر من مصطلح "التمثيل" لتمييز هذا اللون من التشبيه الذي لا يتميز في الواقع عن سائر ألوانه إلا في أن وجه الشبه بين طرفيه محذوف دائماً، يأتلف من صفات متمازجة تنتزعها من المشبه والمشبه به ونتخيلها صورة تجمع بينهما سواء كانت هذه الصورة محضة أو عقلية، ومن هنا أصبح مصطلح الصورة مرادف لمصطلح التمثيل في الكتب البلاغية المتأخرة.

[1] – ينظر، أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص218.

ج- اتجاه المزج بين التمثيل والتشبيه

يعدّ ابن الأثير أن قوماً عدّوا التمثيل قسما من أقسام الكناية فعرفوه بأنه:" أنه تراد الإشارة غلى معنى فيوضع لفظاً لمعنى آخر، ويكون ذلك مثالاً لمعنى الذي أريدت الإشارة إليه كقولهم زقي الثوب أي منزه من العيوب"[1].

وهو يذكر عليهم أنه يرى كلها تمثيل، وأنه هذا التمثيل يكون أشدّ مناسبة أكثر وضوحاً عندما ترد الكناية على طريق اللفظ المركب.

كما يعتبر كذلك الزّمخشري أمثال هذا الاتجاه فقال: " وجدت علماء قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا باباً مفرداً وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبّهتُ هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال مثّلتُه"[2].

والتمثيل عند السكاكي هو ما كان وجهه وصفاً غير حقيقي وكان منتزعاً من عدّة أمور، فهو لم يبحث فيه من باب مستقل بل أشار إليه من زاوية وجه الشّبه كالّذي في قوله:

اصبر على مضض الحسو د فإنّ صبرك قاتله.

فالنّار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله[3].

فإنّ تشبيه الحسود المتروك فالنار التي لا تمدّ بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس إلاّ في أمر متوهّم وهو ما تتوهم إذا لم تأخذ معه في المقاولة مع علمك بتطلبه إيّاها عسى أن يتوصل بها إلى نفثة مصدور من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمدّ حياته ليسرع فيه إلى الهلاك، وأنه كما ترى منتزع من عدّة أمور، وعليه فالتمثيل عند السكاكي تشبيه يمتاز وجهه بميزتين:

---

[1] – الاستعارة التّمثيلية في القران الكريم، صفاء حسني عبد المحسن الترك، جامعة النجاح الوطنية للدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2011، ص 12

[2] – البلاغة والتطبيق،احمد مطلوب،كامل حسن البصير، ص305.

[3] – البيان العربي، بدوي طبانة، ص250.

الأولى: أنه غير حقيقي ويتخيله قارئه توهما بين طرفيه

الثانية: أنه منتزع من عدّة أمور.

وفي قول آخر:

وإن أدّبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه.

حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يُبْسه[1].

فإنّ تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقي أو أن الغرس الموفق بأوراقه ونضرته ليس إلا فيما يلازم كونه مهذب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال، لتأدية المطلوب بسبب المصادف وقته من تمام الميل وكمال استحسان حاله، وأنه كما ترى أمر تصوري لاصقة حقيقية، وهو مع ذلك منتزع من عدّة أمور.

وكالذي في قوله عزّ وجلّ:﴿ ﴾ (البقرة : 17).

فإن وجه التشبيه المنافقين بالذي شُبهوا به في الآية الكريمة هو رفع الطمع إلى شيء مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقّب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب، وأنه أمر توهمي كما ترى منتزع من أمور جمّة.

وأيضًا يوجد من مزج بين التمثيل والتشبيه القزويني الذي نحا هو الآخر منحى السكاكي، وتجنب التحدث عن التمثيل إلاّ من زاوية ركن وجاء الشبه، فالتمثيل هو ما وجهه وصف، منتزع من متعدد من أمرين أو أمور عدّة سواء كان التعدد متعلّقاً بأجزاء الشيء الواحد أو لا"[2]. فهو بهذا لم يشأ تقييد

[1] – المرجع السابق، ص251.

[2] – ينظر، البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، كامل حسن البصير، ص306.

وجه الشبه التمثيلي بأي قيد من القيود التي تقرب العبارات الحسي والعقلي الوهمي والحقيقي وغير الحقيقي بل عرفه بميزته الرئيسة ألا وهي الانتزاع من أمرين أو أكثر.

2- أهمّ المحطات الأساسية لمصطلح التّمثيل:

وممّا سبق نستطيع أن نوجز أهم المحطات التي عرفها مفهوم التمثيل خلال مسيرته البلاغية. وسنحصرها في ثلاثة علماء بلاغيين: 1- عبد القاهر الجرجاني، 2- السكاكي، 3- القزويني.

أ- رأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني (471هـ):

يرجع الفضل الكبير في تأسيس هذا الفن البلاغي ووضع دعائمه ومقيم أركانه للإمام الجرجاني فحدد مفهومه وفرق بينه وبين التشبيه إذ قسم التشبيه من حيث وجه التشبيه إلى قسمين: تشبيه عادي وتمثيلي.

- **فالتّشبيه العادي**: هو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيناً لا يحتاج فيه إلى تأول وصرف عن الظاهر.
- **التّشبيه التّمثيلي**: فهو ما لا يكون وجه الشبه أمراً بيناً ويحتاج تحصيله إلى تأول، وتمثيل ذلك كقولك (ألفاظ فلان كالعسل في الحلاوة)[1] فالحلاوة وجه شبه ظاهري لأن المشبه به هو العسل بوصف الحلاوة فأي سبيل الحقيقة وبخلاف المشبه وهو الألفاظ فإنه لا يوصف بالحلاوة وهو بذلك يحتاج إلى تأول.

[1] - المرجع السابق، ص5.

ب–رأي كلٌّ من السكاكي والخطيب القزويني:

تكاد تتطابق تعريفاتهما لهذا النوع من البيان البلاغي فهما تحدث عنه من زاوية وجه الشبه حيث عرفاه بأنه ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد أو عدة أمور فأكثر من أن يضبطه بالعقل، وهذا ما يتحقق في كل تشبيه يكون فيه وجه الشبه على هيئة منتزعة من متعدد سواء كان ذلك الوجه حسياً أم عقلياً.

أما التشبيه غير التمثيلي فهو على خلاف ذلك من حيث وجه الشبه، وهذا صادق بالعقل الحقيقي وكذلك غير الحقيقي كان مفرداً أم مركباً مع جميع الحسيات.

ج– الموازنة بين الأقوال:

بعد أن تعدّدت الآراء وتباينت أو كادت تتطابق على مفهوم مصطلح " التّمثيل" وبعد أن تلقى عناية واضحة من طرف الباحثين في دراسة التّشبيه في كتب التفسير والأدب والشعر والاهتمام راجع إلى شيوع هذا اللون البلاغي وجريانه في فنون الكلام فضلاً عن وجوده في القرآن الكريم والسنّة النّبوية وكلام العرب ثم التّوصل إلى حقيقة ألا وهي التّشبيه والتّمثيل مترادفان ومعناها واحد. وهو بيان صفة أو أكثر لما في المشبّه به لما يظهر في المشبه على أساس اتّفاق المعنى اللغوي بين اللّفظين، فالتّشبيه هو التمثيل والعكس كذلك.

ومهما تمت التفرقة بينهما أو الجمع فهما يعتبران وجهين لعملة واحدة، واستناداً على قول الزمخشري أنّه:" يعتبر كل تشبيه تمثيلاً ولا فرق بينهما البتّة"

وعلى حسب ما سبق فهذا لا يمنع أن يكون لكل منهما مفهوماً خاصاً به، على الرغم من أن معناها واحد في أصل الوضع.

وتلخيصاً لكل سبق نقول:

التمثيل هو جزء من التشبيه، ولذلك كان أحد أنواع التشبيه يسمى التشبيه التمثيلي، وتعريفه الذي استقرت عليه كتب البلاغة أن:"

1* **التشبيه التمثيلي**: "وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد"[1].

التمثيل أيضاً هو جزء من الاستعارة، ولذلك كان أحد أنواع الاستعارة يسمى الاستعارة التمثيلية. وتعريفه الذي استقرت عليه كتب البلاغة أن:

2* **الاستعارة التمثيلية**: "هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من أراده معناه لوصفي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك أن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور أخرى، ثم تدخل في الصورة المشجعة بها، مبالغة في التشبيه"[2].

[1] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص234.

[2] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، وضبط وتعليق محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1999، ص265.

المبحث الثاني: أهمّية التّمثيل وأسباب تأثيره

المطلب الأول: أهمّية التّمثيل في البلاغة العربية.

تحدث البلاغيون عن أهمية التشبيه والتمثيل في التعبير فقال ابن رشيق:" التشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الأغمض إلى الأوضح ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه"[1] والأديب البليغ كان ناثراً أو شاعراً قد يحتار في كلامه طريقة التشبيه ضمن ما يحتار من طرف الكلام وأساليبه ليحقق به غرضاً أو أكثر من الأغراض سواء كان ما اختاره تشبيهاً مفرداً أو مركباً ويدخل فيه التمثيل، كتقريب صورة المشبه إلى ذهن المتلقي عن طريق التشبيه، إذا كان وجه الشبه في المشبه به أكثر وضوحاً وأظهر أو كان مقداره أعظم، أو كون الصورة التي دل عليها التشبيه أكثر بيانا وأوضح دلالة وأدق أداء من الكلمات التي تدل بوضعها اللغوي على المعنى مباشرة دون استخدام التشبيه. كذلك الإمتاع والاستمتاع بصور جمالية يشتمل عليها التشبيه ففي كثير من التشبيهات الدقيقة المحكمة صور جمالية لا توجد في غيرها من طرف الكلام كقولك" ليلة تمشي كالسلحفاة" أكثر إمتاعا من قولك " ليلة بطيئة المسير" إضافة إلى الإقناع بفكرة من الأفكار وهذا قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية وقد يقتصر على مستوى الحجة الخطابية وقد تقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة.

ويحسن قبل الدخول في شرح أقسام التشبيه والتمثيل أن يكون المتلقي لهذا الفن من فنون الكلام عارفاً بالصفات الأساسية للتشبيهات المثلى حتى لا يظن أن كل تشبيه أو تمثيل هو فن من صور الأدب الرفيع، قرب تشبيه أو تمثيل ينزل من قيمة الكلام أدبياً وبلاغياً ولا يرفعه، وربما يهوى به إلى الحضيض.

[1] – القزويني وشروح التلخيص، احمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، ط1، بغداد، 1967، ص342.

ومن الصفات الأساسية للتشبيهات المثلي:

1-دقّة التصوير، مع إبراز العناصر المهمة التي هي مقصود التشبيه.

2-الابتكار والاعتماد عن التكرار المستعملة كثيراً في أقوال الشعراء والأدباء.

3-صدق المشابهة بين المشبه والمشبه به ويكفي لتحقيق صدق المشابهة ما يسمى " الصدق الفنّي" أي صدق في إحساس صاحب الكلام ومشاعره.

مما يرتقي بالتمثيل إلى مستوى الذروة التصوير المتحرك، الحي الناطق ذو الأبعاد الزمانية والمكانية والذي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة، وأجاد عبد القاهر في ذكر فائدة التشبيه والتمثيل وجمالها ومالهما من تأثير لهما في الكلام، يقول:" واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، وأبرزت هي باختصار في معرضه نقلت من صورها الأهلية إلى صورته كساها أبهة وأكسبها منقبة، ورفع من إقرارها"[1].

وذكر لذلك وأسبابا كل منها يقتضي أن يفخم المعنى التمثيلي، وينبل، ويشرف ويكمل وأول ذلك ظهوره في النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالطبع.

" وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخاراً كان شأوه * أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألذ"[2].

والتمثيل " يأتي من الشيء الواحد بأشياء عديدة ويشتق من الأصل الواحد أغصانا في كل غصن ثمر على حدة....، ويعطيك ممن القمر الشهرة في الرجل، والنباهة والعزة والرفعة، ويعطيك الكمال عن

[1] - القزويني وشروح التلخيص، احمد مطلوب، ص343.

* شأوه: الغاية والأمد.

[2] - أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص 94

النقصان والنقصان عن الكمال، ويعطيك شبه الإنسان في نشأته وتمامه إلى أن يبلغ حدّ التمام، ثم تراجعه إذا انقضت حدّة الشباب"[1]

هذا لأن أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة ومن المذكور في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى وكان موقعه في النحس أجلى وألطف.

واتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وإن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كان أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك.

ويرى ابن الأثير أن التشبيه يجمع صفات ثلاث هي المبالغة، البيان، الإيجاز وفائدته " أنك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيها أو التنقير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً حسن يدعو إلى التّرغيب فيها، وكذلك أنك إذا شبهت بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس قبيحاً، يدعو إلى التّنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه"[2].

وضرب مثالاً لذلك فذكر أن ابن الروسي مدح العسل وذمّه قائلاً:" هذا مجاجُ النَّحْلِ". تمدحه وإن تعب قلت " هذا قيءُ الزنابيرِ"

فقد مدح وذم الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي المضمر الأداة الذي خيل به إلى السّامع خيالاً يحسن الشيء عند تارة ويقبح أخرى.

---

[1]– أحمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص، ص342.

[2]– عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة كان يوشن بنغاري، 1997، ص99.

وذكر ابن رشيق في نشأة التشبيه المتعدد:" أصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها، أو كأن وما شكلها تشبيه للشيء بشيء في بيت واحد"[1]

وذكر امرؤ القيس في صفة العقاب:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحسف البالي[2].

فشّبه شيئين بشيئين في بيت واحد واتبعه الشعراء ذلك.

ويضيف العلامة أبو السعود العمادي (ت 892هـ) أن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستزالته من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم، كيف لا ألا وهو رفع الحجاب عن وجه الحقيقة الخفية، وإبرازها، وإظهار لصورتي المنكر والوحشي في هيئة المعروف والمألوف[3].

ويظهر أثر التّمثيل وأهميته في قول الأستاذ أحمد الهاشمي بك (ت 1362هـ)

أن" تشبيه التمثيل أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكرٍ، وتدقيق نظر وهو أعظم أثراً في المعاني، ويرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النّفوس، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذمّا أو كان أوجع، أو برهانا كان أسطع ومن ثم يحتاج إلى كدّ الذهن في فهمه"[4].

وهذا حسب بديع الزمان النورسي (ت 1379هـ) أنّ الكلام البليغ ما استفاد منه العقل والوجدان معاً والمتكفل لهذين الوجهين التّمثيل فكما يتداخل إلى العقل يتقطر إلى الوجدان أيضاً[5].

---

[1]- المرجع السابق ص99.

[2]- ينظر جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، عبد الرحمن بوزنون، ص09.

[3]- المرجع نفسه، ص08.

[4]- ينظر، المرجع نفسه، ص08.

المطلب الثاني: أسباب تأثير التّمثيل

ممّا اتّفق عليه العقلاء أن التّشبيه على أن تنزف قدره وتعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل الذي يكسبها أبهةً ويرفع من أقدارها ويشب من نارها ويضاعف قواها في التحريك النّفوس لها ويدعو القلوب إليها ويستشير لها من أقاصي الأفئدة، ويفسر الطّباع على أن تعطيها محبة وشغفاً.

كأن تقول فلان إذ همّ بشيءٍ، لم يزل كذلك عن ذكره، وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه، ولم يشغله عنه شيء، ثم لا ترى في نفسك له هزة ولا تصادف لما تسمعه. أريحية قلت:" إذا همّ الشيء بين عينيه عزمه"[1].

فقد امتلأت نفسك سروراً، وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك، ومن ذلك أن التشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره.

ولم يزل العلماء والأدباء ينهوّن بالتشبيه والتمثيل منه، ويذكرون فضله في تمكين المعنى في النفس وتقريبه للمعنى والإفهام.

وجاء في "الصناعتين " لأبي هلال العسكري" التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء من أهل الجاهلية والقدماء ما يستدل على شرفه وموقعه في البلاغة"[2].

وبعد عرض تأثير التمثيل وبعد بيان قيمه في البلاغة العربية وجب الإشارة إلى الأسباب تأثيره وقد جاءت في ثلاثة أسباب ألا وهي:

أولهما: نقله النفس من العقلي إلى الحسّي، ومن النّظري إلى الضّروري.

ثانيهما: جمعه الأمور المتنافرة المختلفة.

[1] – أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص108.

[2] – دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر الجرجاني في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير، عبد الهادي العدل، ص81.

ثالثهما: حاجته إلى الفكر.

فكل واحد من هذه الأسباب يؤثّر في النّفس، ويقع منها أحسن موقع، فإذا اجتمعت كلّها أو اثنان منها كانت أعظم أثراً وأجمل وقعاً.

1- نقل النّفس من العقلي إلى الحسّي:

وهذا السبب آت من الناحية تقوية المعنى وتوكيده، وذلك انتقالاً بالنفس من المعقول إلى المحسوس ومما يدرك بالفكر والنظر، والثقة والاطمئنان إليه وسر ذلك أمران:

أحدهما: هو الحسّي والضّروري أقوى من العقلي والنّظري، وأشدّ استحكاماً، لذلك يقولون:" ليس الخبر كالعيّان، ولا الظّن كاليقين"[1]، فإذا جئت بالمثل عقب المعنى في معرضه أنست إليه النّفس ووثقت به، قبلته مطمئنّة، إذ ردّدتها إلى ما هي به أعلم وثقتها به أحكم.

ثانيهما: الحسي والضروري، أسبق حصولاً للنفس من العقلي والنّظري أسبق حصولاً للنّفس من العقلي والنّظري، لأنّ العلمين الأولين وسيلتهما إلى العلمين الأخيرتين وطريق حصولهما لها، فإذا نقلت النفس في الشيء تمثله من المعقول إلى المحسوس أو من النظري إلى الضروري، وقد ضرب الجرجاني فقال:" مثلك مع الشّاعر أو النّاثر إذا أوقع المعنى في نفسك غير ممثّل ثمّ مثّله، كمثلك مع من يصف لك شيئاً من وراء الحجاب، ثم يكشف عنه الحجاب، ويقول:" ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت فإنّك تزداد في الحالين ثقة المعنى واطمئناناً إليه"[2].

إنّما يكون كشف الحجاب عن الشّيء بعد علمه سماعاً، سبب في زيادة الثّقة فإذا كان ذلك لكشف يزيل شكاً كان لا يزال عالجاً بالنفس وإذا لم يكن هناك شكٌّ فهل بالضرورة أن التمثيل هدفه إزالة الشكِّ؟

[1] – دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة القاهر الجرجاني في التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير، عبد الهادي العدل، ص82.

[2] – المرجع نفسه، ص82.

وعليه فإن إجابة هذا السؤال فإن المعاني التي تأتي التمثيل عقبها ضربان

أ-بديع غريب يمكن أن يُشك فيه، ويُدعى امتناعه، كقول المتنبي:

فإنّ تفق الأنام واتت منهم فإنّ المسلك بعض دم الغزال[1].

فإنّ سيف الدولة فاق الأنام بأوصافه الفاضلة حتى صار جنس آخر فوقهم، وهذا أمر غريب فقد احتج لدعواه، وأبان أن لها أصلا في الوجود حين قال" المسك بعض الدم الغزال" فإن المسك أصله دم، وخرج بأوصافه عن جنس الدم.

ب-غير بديع غير غريب: ولا نادر، كقول مجنون ليلي:

فأصبحت من ليلى الغداه كقابض على الماء خافته خروج الأصابع[2].

وفي معنى قوله أنه خاب ظنّه حين يسعد بوصلها وهذا المعنى ليس منكراً في الوجود ولا عجيباً حتى يحتاج إلى إقامة دليل على إمكانه وصحّته.

إذن فإن الضّرب الأوّل فائدة التّمثيل فيه وسبب والأنس به أنه أفاد صحة المعنى وإمكانه، ونفر الريب والشك عنه، فبرّأ صاحبه من تهمة الكذب وانطباق كشف الحجاب عليه واضح، أما الضرب الثاني فإن التّمثيل وإن لم يفد فيه إزالة الشكّ فإنه أفاد فائدة أخرى في اجتلاب الأنس، وهذا يحتاج إلى بيان مقداره والكشف عن مبلغه في القوة والضعف، والزيادة والنقص، فالأمور العقلية تختلف مقاديرها، فإذا مثّلت بالمحسوس، عرفت مرتبتها وحقيقتها.

[1] – القزويني شروح التلخيص، أحمد مطلوب، ص349.

[2] – أسرار البلاغة لعلم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص104.

2-جمعه الأمور المتنافرة:

كثيراً ما يجمع بين أمرين متنافرين مختلفين، وهذا أجاب من أبواب الإبداع والافتقان، وفيه من الطرافة والغرابة ما لا يخفي موضعه من العقل، وما يدعو لا محالة الاستحسان، ويثير كامن الارتياح.

وللتمثيل الحظ الوفير في الجمع بين المختلفات في ذكر طرائفه وعدّ محاسنه، والبدع التي يخترعها في ذلك، فمن أنواع هذه الطرائف التمثيل في هذا الجمع:

- أنه يريك للمعاني المتمثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة، ومعنى هذا أن يكون المشبه أمراً معقولاً، والمشبه به محسوساً نحو: العزيمة الصادقة كالسّيف القاطع؛ قوله تعالى: ﴿ ﴾(البقرة: 256).

فقول البوصيري:

والنفس كالطّفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم[1].

وقولهم: العدل أساس الملك ، والنحو ميزان الكلام.

- أنه ينطق الأخرس، ويريك البيان من الأعجم وذلك إثبات الحديث والنطق لغير الناطق تشبيهاً لع بالناطق.

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون لوم تتكلم.

فأيقنت أن الطرف قد قال: مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيّم[2].

[1]- دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة، عبد القاهر الجرجاني، التشبيه والتمثيل، التقديم والتأخير، عبد الهادي العدل، ص95.

[2]- المرجع نفسه، ص96.

وللمشبه على طريق الاستعارة بالكناية، والإثبات استعارة تمثيلية، كقول نصيب:

فعاجوا فأثنوا أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب[1]

فشّبه الحقائب الممتلئة بمواهب الممدوح بالرجل المثنى بجامع الدلالة على كرم الممدوح، وإثبات الثّناء للحقائب، ودليل التّشبيه، فهنا استعارتان مكنية وتمثيلية.

- أنه يريك الحياة في الجماد ومعنى ذلك إثبات للجماد حياة تشبيهاً له بالحي: قوله عز وجلّ:

﴿ (البقرة: 164).

فشبهت الأرض المحدبة بالميت في عدم النفع، والأرض الخصبة فالحي في النفع وإثبات الحياة والموت للدلالة على هذا التشبيه هو استعارة بالكناية والإثبات.

- أنه يريك التنام الأضداد وذلك يحصل بأمرين:

أحدهما: أن يشبه بأمرين متضادّين لوجود شبه بينه وبين كل منهما فيقال: هو حياة لأوليائه، وموت لأعدائه، فشبه بالحياة لكونه سبب المنافع التي لهم غنى عنها وبالموت في أذهاب المنافع.

الأمر الثاني: أن يكون الشيء متصفاً بصفة على الحقيقة فتثبت له ضدها بالتمثيل كجعل الشيء حسناً قبيحاً كقول المتنبي:

حسن في عيون أعدائه أقـ بح من ضيفه رأته السوام[1] .

[1]- المرجع السابق، ص96.

وذلك أن الممدوح حسن في نفس الأمر لكن أعداءه لا يطيقون لكراهتهم له. والتّمثيل في قوله "أقبح" فإن الممدوح ليس قبيحاً لكنه بالشيء القبيح في كراهيته، وعدم إطاقة رؤيته.

في هذا الجانب فإن هذا السبب فيه جهات عدّة تستطيع أن تعثر على ذلك حيث تعدّ طرائف التّمثيل في الجمع بين المختلفات، سواء ما يدرك بالحس أو ما يدرك بالعقل والرؤية.

3-حاجته إلى الفكر:

وهذا السّبب يحتاج إلى إعمال الفكر، وتحريك الخاطر وبذل الهمّة، فهو مرتبط بالسّبب السّابق ومرتب عليه، فإن التمثيل تكون حاجته إلى الفكر أمسُّ، والشيء إذا قيل بعد طلبه والتعب فيه يكون موقعه أعظم في النفس من المنساق إليها بلا تعب.

إن ما زعمت من أن الحاجة إلى الفكر من أسباب حسن التمثيل: يستلزم أن يكون التعقيد وتعمد الالتواء، مما يكسب المعنى المعقد شرفاً، ويعطيه فضلاً لحاجته الشّديدة إلى الفكر، بل حاجته إليه أشدّ من حاجة التمثيل.

ثم إنّ هذا الزعم أيضاً مخالف لقول عامة البلغاء" إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك"[2] لأنهم يريدون بهذا تجنيب الكلام من التعقيد، ومن تمثيل هذا قول المتنبي:

فلو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال.

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال[3].

[1] – المرجع السابق، ص99.

[2] – المرجع السابق، ص118.

[3] – دراسات في البلاغة العربية، عبد العاطي غريب علام، منشورات جامعة فان يونش، ليبيا، ط1، 1977، ص.

ومعنى ذلك أن لو كان النساء مثلها في الكمال والفضل لكنّ أفضل من الرجال فلا دخل للذكورة والأنوثة في ذلك، وربّ أنثى يقصر عنها الذَّكر، ولا يبلغ مبلغها ومثل لذلك بالشّمس والقمر فإن الفضل لها دلالة، لأنها مع تأنيثها أعمّ نوراً وأدوم ظهوراً، والهلال مع تذكيره كثيراً التّكفل.

ومن ناحية منشأ الحاجة إلى الفكر وسببها، فمنشؤها في التمثيل دقة المعنى ولطفه، وارتباط بين بعض أجزاء الكلام، وبناء تالٍ على أولٍ وثالثٍ على ثانٍ، ونحو ذلك، أما التعقيد فمنشؤها سوء ترتيب الألفاظ وتعمّد إغلاقها.

فخلاصة القول: أن المجهود الفكري في التعقيد زائد على ما ينبغي للمعنى ومنشؤه من عمل المتكلم وأن هذا المجهود في التمثيل مناسب للمعنى وفائدته الجليلة.

وهذه من أسباب تأثير التمثيل، وبها كان التمثيل نوعاً من التشبيه ممتازاً وفناً بديعاً، بدليل ما أضفاه عليه من الصفات الرائعة عندما بين تأثيره ثم من أسباب تأثيره وغرابته.

وممّا سبق نستنتج أن بلاغة التشبيه التّمثيلي أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثّله، وكلما كان الانتقال بعيداً قليل الحضور بالبال أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التّشبيه أروع للنّفس وإعجابها واهتزازها، فهو يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً لهذا نجده كثيراً عند المتكلمين العرب في مؤلفاتهم ولم يستغنوا عنه.

وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان في رسم الصورة المقصودة والإيضاح والإفهام لتقريب المراد بالتّمثيل في حسن براعته وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون، فهنا تكمن بلاغته من حيث مبلغ طرافته وبُعد مرماه ومقدارها فيه من خيال.

ويأتي تأثير التّمثيل في النفس بكسوه للمعاني رونقاً ويرفعه أقدارها بتحريك النفوس لها لما كان الكثير من التمثيل من المشاهدات، ففائدته هنا الأنس بالمعنى الممثل، لما تفعله المشاهدة من التحريك

في النفس والتمكين في القلب بالكشف عن مبلغه في القوة والضعف، فإن الأمور العقلية يختلف مقاديرها.

ومن إبداع التّمثيل أنه يمكن به تشبيه أشياء مختلفة بأمر واحد بحيث يؤخذ منه لكل مشّبه معنى خاص يشاركه فيه.

الفصل الثاني :

بلاغة الأساليب التّمثيلية في القرآن الكريم

للبيان منزلة عظمى في فضاء البلاغة العربية لتشعّب مباحثه وكثرة أبوابه من شأنها أن تبرز المعنى وتظهره في أبهى صورة لما يمتاز به هذا العلم من إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ويعنى هذا الفصل بدراسة أساليب التمثيل في الآيات القرآنية وتحليلها، وذلك أسلوب التمثيل شأن تتعيّن الحفاوة وتنطلب المزيد من النظر والتدقيق ولما يحققه من تجلية المضمون في الآيات القرآنية في حديثها عن القرآن في مجالاتها المختلفة وللنظر أيضاً في رونق هذه الآيات وبهائها التي كساها علم البيان عامة والتمثيل خاصة.

المبحث الأول: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم.

المطلب الأول: هندسة التشبيه التمثيلي:

وتتمثل هندسة التمثيل ومعماريته فيما يلي:

أولا : التّقابل بين أوجه التّشابه في طرفي التّمثيل.

من مبتكرات القرآن الكريم التقابل في التمثيل، حيث يتعدد وجه الشبه بين ركني التمثيل، فيشبهه الصفة الأولى مع صفة ما في المشبه به، وصفة ثانية مع صفة أخرى غيرها في الممثل به. وهكذا تتقابل صور متعددة متجاورة كل على حدا تتلخص منها الوجه الحقيقي المراد من التشبيه، كحالة الإنسان الذي آمن ثم كفر، وانسلخ عن الإيمان واتبع هواه، فقد عاش مثال الذل والهوان، وقد وجد القران شبهاً في الكلب يبين عن خسّته وحقارته ومما يزيد في الصلة بين الاثنين أن هذا المنسلخ يظل غير مطمئن القلب، مزعزع العقيدة مضطرب الفؤاد سواء دعوته إلى الإيمان، أم أهملت أمره، كالكلب يظل لاهثاً طردته وزجرته أم تركته وأهملته[1] وهذا مجسد في قوله تعالى في سورة الأعراف قوله عزّ وجل:

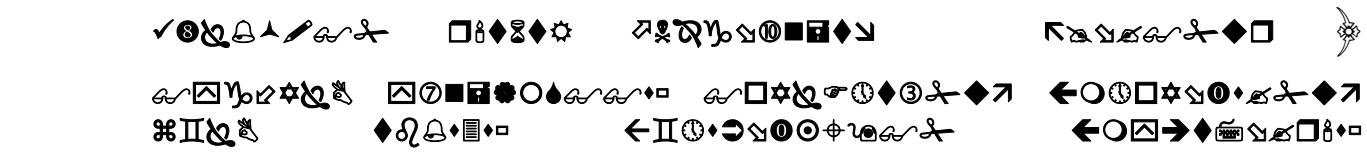

[1] – من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، الإدارة العامة للنشر، القاهرة، 2005، ص158.

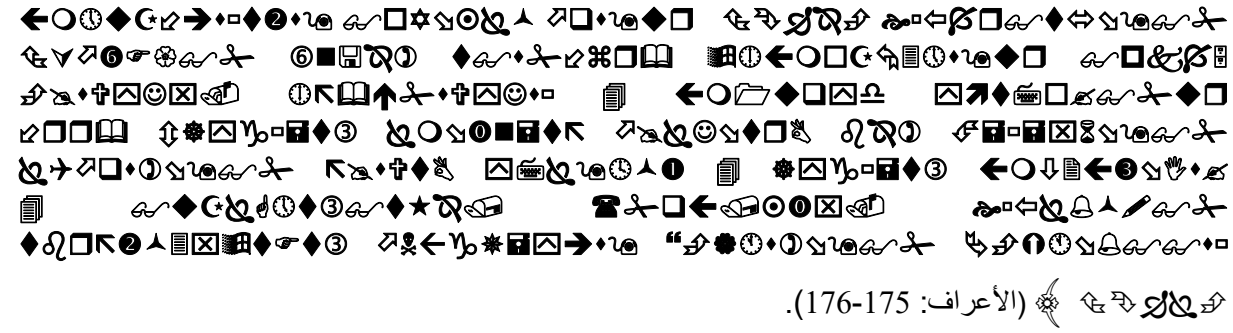

(الأعراف: 175-176).

وفي هذه الآية الكريمة تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدد حيث" تقابل أجزاء هذا التمثيل بأن يشبه الضال بالكلب، ويشبهه شقاؤه واضطراب أمره في مدة البحث عن الدّين، يلهث الكلب في حالة تركه، تشبيه المعقول بالمحسوس، ويشبه شقاؤه في إعراضه عن الدين عند مجيئه، يلهث الكلب في حالة طرده وضربه تشبيه المعقول بالمحسوس"[1].

وقد أغفل مفسر هذه الآية، فقرروا التمثيل تشبيه حالة بسيطة، بحالة بسيطة في مجرد التشويه أو الخسّة، فيؤول إلى أن الغرض من تشبيهه بالكلب إظهار خسة المشبه بل اقتصر على أنه تشويه للحالة المشبه بها لتكسب الحالة المشبهة تشويهاً.

وجاء في قوله تعالى:

(المدثر: 49-51).

وفي هذه الآية تصوير نَفَرَة الكفار من الدعوة الإسلامية فقد يظن أنه الاكتفاء في تصوير حالتهم بالحمر، لكن المقصود غير ذلك، فالمشركون لا يريدون إعمال عقولهم في خلق السموات والأرض ليهتدوا إلى الخالق، وهم في الوقت لا يستجيبون إلى الداعي، بل كلما عرض عليهم الدعوة ابتعدوا عنه مسرعين وكأن شيئاً ما في أعماقهم يحثهم على الهرب.

[1] – جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، عبد الرحمن بوزنون، مجلة الحكمة الدراسات الإسلامية، القاهرة، 2015، ص11.

وفي هذا جمع بين وجوه التشابه بين المعرضين، وبين الحمر المستنفرة، إذا تلاقى الصورتان في عدّة نقاط تبرز عظمة التمثيل القرآني وتبين دقة الاختيار في التشبيه الكريم، ومن هذه الوجوه ما يلي:

1- **الوجه الأول**: تمثيلهم للحمر الفّارة أصدق وصف للحالة النفسية التي يكون عليها الكفار وهم في حالة أعراض وصدود عن الذّكر الحكيم وما يكون من انقسام نفسي داخلي بين المسلك والمنفذ نتيجة الرعب والقلق والاضطراب، وهذه الحالة لا تمتلكها إلا تلك الحمر المستنفرة التي رأت الهلاك والخراب[1].

2- **الوجه الثاني**: أن الحمر الوحشية شديدة النّفار والإطراء في العدو إذا أحست بوجود خطراً أو بمجرد أن يريبها رائب، وذلك من أكثر التشبيهات عند العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر.

3- **الوجه الثالث**: والتمثيل بالحمر الوحشية كناية عن سفاهة رأيهم وبلاءة عقلهم وقلة حيلتهم من الفهم والإدراك، فتهجين لحالهم وذمة وتشنيع بعد دعوتهم إلى صلاح رأيهم وحسن منقلبهم بعد سماع كلام الدّاع والنظر في حجته وبرهانه بالاستجابة بدعوته بالطاعة والإتباع أو المعارضة عن ذلك.

ثانيا:الملازمة بين المعاني المتضادّة.

إنّ أسلوب القرآن فاق طوق البشر يوم تنزل عليهم، حيث حرّك عواطفهم ووجدانهم وأفكارهم، ومن خصائص أسلوبه أنّه" يقرن المعاني المتعارضة في سياق واحد للتمييز الحقائق وتنكشف المبهمات، فمثلاً حين يذكر النيران والجحيم يذكر الجنان والنعيم"[2]، وهذا مجسد في قوله تعالى: ﴿

[1] - المرجع السابق، ص11.

[2] - المرجع نفسه، ص12.

(الكهف: 29-31).

أو عند وصف دخائل الذين آما واطمأنت قلوبهم يذكر الذين كفروا وتمزقت قلوبهم ونفوسهم وكان عقابهم جهنم فيها خالدون.

قال الله تعالى:

(البقرة: 38-39).

فأما المؤمن الموحد الذي أنشأ أساسه على الكلمة النورانية العالية المشرقة في سماء الإخلاص" لا إله إلا الله"، فتغلغلت هذه الحقيقة الكونية، وهذا النور الرّباني العظيم في روحه وقلبه فسكنت منه الأوردة والعروق، وملئت الجوارح والأركان.

وقوله تعالى:

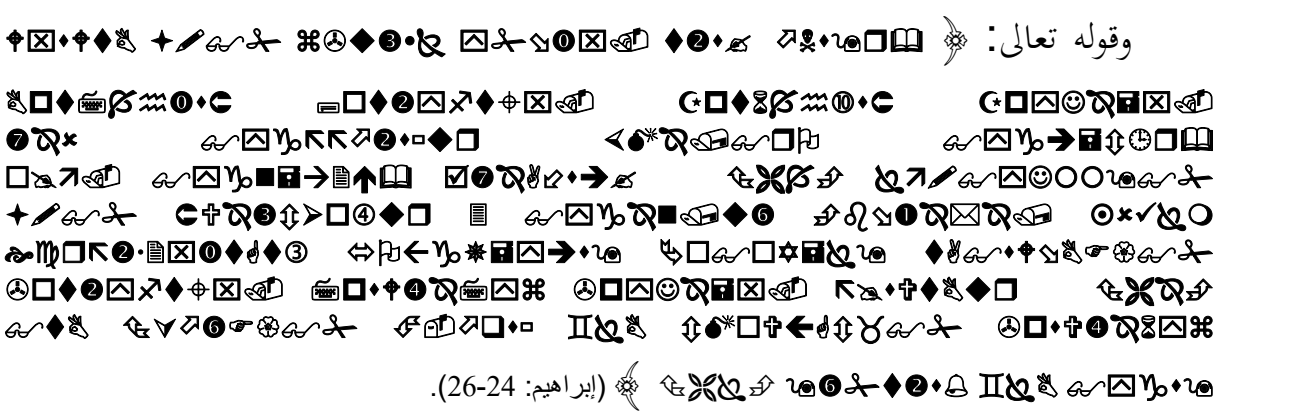

(إبراهيم: 24-26).

وفي الآية الكريمة يتبين الكلمة الطيبة هي الكلمة التوحيد كشجرة طيبة بحكم أنها مثلها وتعطي ثمرها كل حين وقته (ويضرب الله الأمثال لعلهم يتذكرون) بضرب الأمثال لأن في ضربها زيادة

وإفهام، وتذكير فإنه تصوير المعاني بصورة المحسوسات"[1]، وفي هذا التشبيه مركب (كلمة موصوفة بالطيب بشجرة موصوفة بالطيب أيضاً) وهذا أضفى على الآية رونق الفصاحة والبلاغة.

ومثاله في الصورة المقابلة للكلمة الطيبة، وهي الكلمة الخبيثة الموصوفة بالشجرة الخبيثة في القبح والضرر والمرارة.

في هذا " تشبيه العقل بشجرة طيبة والهوى بشجرة خبيثة"[2].

فمثله كالنخلة التي تنبت في القلب وتثمر في اللسان من طيب المنظر والهيئة وطيب الثمر ولذته والرائحة وحسنها مثّلت: لك كله لطيبة المؤمن التي لا تفارق الدّهر كله في اليسر والعسر، الشيق والوسع، فهو طيب مع نفسه والآخرين.

وهي في تأصلها في أعماق الأرض وتحذرها في طيبتها ومقاومتها للظواهر الطبيعية كالرياح والعواصف الشديدة، كثبات الإيمان في جوهر هذه النفس النقية التقية وشموخه من غير ريب.

وهاته النخلة في شموخها في السماء، وارتفاعها عن مثيلاتها من النبات في ذلك رفعة للشأن وعلو القدر والترفع عن الأقذار، كالمؤمن في علو مقامه عند ربّه على غيره من أهل الشرك والكفر.

ثم مثّل تعالى لصفة الكافر الذّي تغلغل الشّرك والظّلم في قلبه وخالط الصنمية والوثنية فكره وجوهره، حتى صار عديم الإدراك والإحساس، فاقد الفهم والبصيرة، بصفة الشجرة" الحنظل"، كريهة الرائحة، قبيحة المنظر والشكل، عديمة الفائدة، خبيثة الذوق، هجرها الناس، واستقبحوا جوارها فلا يستقر بها مكان.

[1] – الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي البروسوي، إلهام إسماعيل حرارة، رسالة تخرج على درجة الماجستير في البلاغة، غزة، 2013، ص59.

[2] – المرجع السابق، ص59.

فالمشترك شابه خبث هذه الشجرة في خبث عقيدته وفسادها، وقد شابه هذا الحنظلة التي اقتلاعها من الأرض باقتلاع الخير من قلبه وطمس نور الهداية عن فكرة وبصرته باتخاذه الآلهة من دون الله[1].

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ (التوبة: 109).

فكانت تكملة الحركة الأخيرة، التي كانت متوقعة "فانهار به في جهنم"وبذلك طوى الحياة الدنيا كلها،دون أن يذكر ولو كلمة "ثم" في موضع "الفاء" (فانهار) أي مباشرة دون التراخي حتى أنه لا ضرورة لذلك[2].

ثالثا: الاهتمام باختيار كلمات التّمثيل القرآني وانتقائها بما يلائم المقام

فالتمثيل في القرآن كان موحيا، وهذا ما يرتقي بالتمثيل إلى مستوى الذروة

فالصورة التمثيلية في القرآن تحيط بالتشبيه من سائر جوانبه وأنحاءه فتتماثل الأبعاد النفسية الحفية التي لا تستطيع تحصيلها في تشبيهات الأدباء والشعراء.

فالكلمات التي نظمت منها صورة المشبه به لا تجد مفردات اللغة على كثرتها من يقوم مقامها ويسدّ مسدّها، مثل: اسلخ، أتبعه، رفعناه،أخلد، يلهث ففي اللغة العربي لا نجد كلمات تصور هذه المعاني وتبرزها في صور حية متحركة.ففي قوله تعالى:" أتيناه آياتنا" فالله سبحانه هو الذي آتاه آياته عرّفه إياه من غير حول ولا قوة ولا تكلف في تحصيلها، ثم أضاف قائلا عز وجل "فانسلخ منها" أي

[1] – ينظر، المرجع السابق، ص12.

[2] – ينظر، التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص47.

خرج منها لما تسلخ الحية من جلدها، وفراقها فراق الجلد الذي ينسلخ عن اللحم، أستعيد في الآية الكريمة للانفصال المعنوي.

وفي الصورة تحقير وتقذير، من الوجهة الفنية صورة شاخصة فيها الحركة الذاتية، وهي صورة معهودة، فهي تثبت المعنى المراد بها أشد وأقوى، وهكذا يلتقي العرض الديني بالعرض الفني.

وقوله تعالى: ﴿ (الحج: 11).

ويوضح في هذه الحالة تزعزع العقيدة، حيث لا يستقر الإنسان على يقين ولا يتحمل ما يصادفه من الشدائد بلقب راسخ ولا يجعل عقيدته في معزل عن ملامسات حياته، فيرسم لهذا التزعزع صورة تهتز وترنح، فإن الخيال ليكاد هذا "الحرف" الذي يعبد الله عليه هذا البعض من الناس" وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنها تنطبع في الحس، وتتصل منه بالنفس"[1].

في عرض آخر الصورة التي رسمها المسلمين قبل أن يسلموا، يوم أن كانوا مرضين لجهنم بما هم فيه من الكفر، فقال تعالى: ﴿ (آل عمران: 103).

[1] – المرجع السابق، ص46.

هكذا " كنتم على شفا حفرة" موشكين على الوقوع تكاد أقدامكم تنزل فتهوون وهنا دقة التشبيه وصدقه في اختيار اللفظ اختيارا مناسبا للمعنى في رسم الصورة القلقة المتحركة الموشكة في الخيال على الزوال.

عندما يبلغ أسلوب القرآن قمة التأثير ونهاية الإبداع حين يصور حال المعوقين عن الجهاد وما يدور من القلق والفزع والاضطراب فيقول تعالى: ﴿ (الأحزاب: 18-19).

في الآيتين الكريمتين صورتين تمثليتين، أولهما تصوير لحالة المعوقين عن الجهاد الفرعين من الإقدام عليه، الذين لا يريدون تحمل نصيبا من أعبائه فهم ذو نفوس قلقة مضطربة يتنازعها عاملان أساسيان:

أوّلهما: الخوف الذي سيطر عليهم من المال الفظيع الذي به ينكشف أمرهم، وتفضح أسرارهم.

ثانيهما: الوصول إلى غاية التثبيط عن واجب الجهاد، وهذا العامل أول شأن من العامل الأول لأنهم حين ينادون حقيقة الجهاد تترجرج أحداقهم في محاجرها دليلاً على تقلص نفوسهم من شدة الخوف.

صورة من يعالج سكرات الموت، ينازع نفسه المال المظلم والخوف العميق من الجزاء المحتوم، دون أن تكون له الإرادة التي يعتمد عليها في موقعه.

وهذه الصورة موحية كل الإيحاء في تصوير حالة المعوقين للجهاد من ضعف الإرادة والقوة وخيبة في المآل[1].

وفي قوله أيضاً: 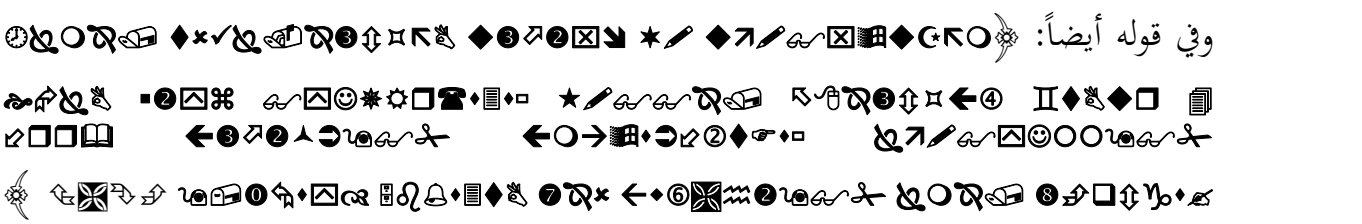

(الحج: 31).

وذلك أيضاً لدقة اختيار الخرور للتعبير عن السقوط، فأصل اللفظة من خرير المياه، خرير العقاب، الصوت الذي يحدثانه عند السقوط من الأعلى إلى الأسفل، ثم استبعدت للحجر الذي يهوي من أعلى إلى أسفل مصدراً صوتاً، ومن معانيها " الموت"كما يقال " خرّ فلان" ، " أي مات"[2].

رابعاً: الافتنان في أنواع التشابيه والتّمثيلات ضمن السلسلة الكلامية .

وذلك بالابتعاد عن التزام الوتيرة الواحدة، والمتابعة على نمط واحد.

فلا يتقيد التشبيه القرآني بصيغة واحدة أو أسلوب معين، وما ذلك إلا اعتباراً للمقام ومراعاة لدرجة القرابة بين طرفي التشبيه قوة العلاقة بينهما.

فالتنويع في عرض الأمثال يضفي حيوية على التمثيل ويجعله متجدداً على النفس يستدعي انتباهها وتركيزها، ويجنبها السآمة والملل، وذلك ببناء المشبه على المشبه به ، ومرة أخرى العكس، ومرة بالعرض المفاجئ والدخول المباشر في التمثيل، وأخرى بتذييله في آخر الكلام، وهذا ما يسميه العلماء بـ:" التفنن".

وهذا الإبداع في التنقل من فن إلى فن آخر بطريقة التنظير والإتيان بالمترادفات عند التكرير لتجنب لثقل الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات من أجمل الأساليب الفنية في العربية

[1] – جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، عبد الرحمن بوزنون، ص14.

[2] – لسان العرب، ابن منظور ج4، مادة خرر، ص234.

وأعظمها هو في القرآن كثير ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماته وإقبالهم عليه، هذا في قوله تعالى: ﴿ (سورة البقرة:17-20).

وفي الآيات الكريمات بيان لحالة الكفار العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي ظلمي الكفر والنفاق، ظلمة يوم القيامة والعقاب، بالهدى الذي هو النور المؤيد والفطري، بما شاهدوه من دلائل الحق، كحال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينتفع بها، فأطفأها الله وتركه في ظلمات هائلة" لا يتسنى فيها الأبصار".

فالمشبه: حال الكفار والمنافقين المتتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب بالهدى، والمشبه به حال من استوقد ناراً عظيمة فأطفأها الله وتركه في ظلمات ووجه الشبه مركب: الهيئة الحاصلة من وجود الهدى والنور ثم يتبعه الخيبة والحرمان.

والإعجاز البياني في هذه الآيات الكريمات:" النار جوهر لطيف مضيء محرق، والنور وضوؤها وضوء كل نيّر، وهو نقيض الظلمة"[1]. وقوله (ذهب الله بنورهم) أي أذهبه بالكلية، وأطفأ نارهم التي هي مصدر نورهم، (صمّ) صم عن قبول الحق صم لا يسمعون، (بكمٌ) عن قول الحق (عميٌ) لا

[1] – الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل البروسوي، إلهام إسماعيل حرارة، ص53.

يبصرونه، فالتمثيل في هذا؛ أن الضمير للمنافقين أو المستوقدين والمعنى لما أذهب نورهم أدهشتهم الظلمة بحيث اختلت حواسهم إلى الهدى الذي باعوه.

فقد شبه القرآن والإيمان بالصيّب وما فيه من شّبه المبطلين واعتراضهم بالظلمات وما فيه من الوعيد والأهوال وذكر النار والحساب بالرعد وما فيه من الوعد، والآيات الباهرة بالبرق وتصادمهم عن الوعيد بحال من يهوله الرعد فيسد أذنه مع أنه لا خلاص عنها ويدل عليه قوله تعالى(والله محيط بالكافرين) واهتزازهم لم ظهر لهم من غنيمة وراحة يطمح عليه أبصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتوقفهم إذا أظلم"[1].

ومنه قول الله عزّ وجلّ أيضاً: ﴿ ☎✂▣❐↖❷☒▣•🗎 ♦✖⇦♌🕭⅄🖋🖙✂◆❐ ←❍←📻✹❍↘♦•⑥ 📻❐🖂➔⓿🖋❶♌📠 ◎✇✂◆❸🖂❶☒📠 ⇗🏃←♑➔🖬🕒◆℗▫↙❐🕮 ❶←■◆↗🖋🖙🖂♉ ✂•❶♌❶ ✂♐□⊗🖂❍ 🕒↗🖋🖙♦✎ ↖♌🖙♦★⇳☺⅄→๛🖙✂ ❶←■🖂⑨🌀♌↖ ⅄🖋🖙✂ 🖂⑨🖂Ⅱ◆❐◆❐ 🖙❀★↘⓿☒⅄ ←■⇳⑨↰♑•⑥ ⇔🏳•๛ ←↗③♌❸✹· ✦🖋🖙✂◆❐ 🖥 ❶←❍♦📠🖙✹❍♌❍ ←❍๛⅄▫◆❑•▫

﴾ ⇦🏴♐🖙✹❍♌♦↘💻🖙✂ ﴿ (النور:39).

في تفسير البروسوي:" أن الأعمال هي من باب البر كصلة الرحم مما لو قارنه الإيمان ستنبع التراب كسراب هو ما يرى في المفازة من لمعان الشمس عليها نصف النهار، فيظن أنها ماء يشرب أي يذهب ويجرى، كأن السراب فيها لا حقيقة له كالشراب فيها له حقيقة. (لمشبه الظمآن ماء) شديد العطش يظنه ماء وهنا في هذه الآية الابتداء المطمع والانتهاء المؤيس[2].

فتمثيل أعمال الكفار يحسبون بجهلهم أن يحسنون صنعاً وتوهمهم بأن لها وزناً وثواب عند الله وهي في الحقيقة لا تساوي شيئاً. والمشبه به: هيئة السراب في الصحراء يحسبه الظمآن ماء، فيذهب إليه يجرى، فلا يجد هناك شيئاً. ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من الأصل المطمع والنهاية المؤيسة.

[1] – جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص31.

[2] – الصورة البيانية في كتاب روح القرآن، لإسماعيل البروسوي، إلهام إسماعيل حرارة، ص54.

وفي هذا نفتن وننقل بين المتنقل ومنه والمتنقل إليه، فهي في منتهى الرقة والإبداع حيث لا يشعر قارئه بانتقاله إلا عند حصوله، فحسن النظم القرآني يضفي الحركة على الصورة التشبيهية، مما يثير انفعالات نفسية حركية، لجعل المعنى يستقر في النفس والوجدان ويدفع الإطالة عنها.

خامساً: الابداع الخالص في التّصوير التّمثيلي.

إن أكثر أمثال القرآن هي إبداع خالص، فنجد غالبية الشعراء والأدباء يعدون صياغة التشبيهات لصور سبقوا إليها، فهم يحاولون إعادة إبرازها في قالب جديد به براعة الإبداع والتفنن فيه، ومن شواهد ذلك تمثيل القرآن الكريم لحال الداعيين غير الله في إلحاحهم في نجواهم واستغاثتهم في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (الرعد:14).

فمن بلاغة الآية الكريمة أنه لم يأت التعبير بالكف الواحدة، على نحو ما هو متداول في أمثال العرب نحو قول القائل:

وخيرت من باسط كفه ... وممن ثناها قريب الحنى[1].

قول آخر:

هل هو إلاّ باسط كفه ... يستطعم الوارد الصادرا[2].

فالقرآن الكريم عدل عن ذلك إلى التعبير بالكفين الاثنين، عوض التعبير المشتهر في أساليب العرب، فناسب ذلك مقتضى المقام من الإلحاح الشديد والرغبة في تحصيل الماء.

[1] – جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، عبد الرحمن بوزنون، ص16.

[2] – المرجع السابق، ص16.

ويمكن تلخيص هذا المبحث فيما يلي أن التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر، والتمثيل فن بلاغي مهم يدخل في نية الخطاب البياني غايته الجمالية التي تثير في النفس إنفعالاً والتنقل من المحسوس إلى المعقول أي من الخفي إلى الجلي، فتزداد الصورة وضوحاً وتمكناً من النفس، فتمامها لا يحصل إلاّ بتجميع كل الأجزاء، وإلصاق كل القيود ومنها تبرز الصورة القوية للتعبير صادقة الأداء.

المطلب الثاني: موضوعات التشبيه التمثيلي ودلالاته.

إن النظر إلى التّشبيه من جهة طرفيه من حيث الخروج من مستوى من مستويات الإدراك إلى مستوى آخر أبين منه وأوضح، فالتقسيم إذن لا يقوم على الناحية الشكلية الخارجية بل يتعمق ويتغلغل في أساسيات المعنى، وهذا يقوم على خاصيات أربع وهي:

أولا : إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.

وذلك بأن يلبس المعنى ثوب المحسوس، ويحلى بأوصافه ومميزاته فيصير هذا الشيء المعنوي المعقول كأنه مشاهد محسوس يراه الناس ويبصرونه.

فقوله تعالى: ﴿ ﴾ (النور: 39).

فقد صورت الآية الكريمة حالة من كفر كمن يركض نحو سراب يظنه ماء حتى إذا وصله لم يجده شيئاً فضاع أمله، فأخرج ما لا يحسه من حال الكفار إلى ما يحس من حال سراب الذي ينثر ويزول إذا ما قصده طالبه، ويعلق الرماني على هذه الصورة قائلاً:" هذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قيل يحسبه الرائي

ماءً، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً وابلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشدّ حرصاًعليه وتعلق القلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار"[1].

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً، قوله تعالى: ﴿ (إبراهيم: 18)

تختلف الصورة في هذه الآية وتتجه نحو معنى آخر والجامع كما يقول الرماني:" الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات والحسرة العظيمة والموعظة البليغة"[2]؛ فالصورة تمثل صورة الضياع وفقدان الأعمال في إطار من الرعب والفزع وعناصر هذه الصورة هي الرماد الذي لا قيمة له مع خفته وقلته، أم الريح الهوجاء واليوم العاصف، كذلك أعمال الكافرين تذهب بدءاً يوم القيامة مهما جلت فلا يبقى فيها شيء لأنها أعمال منفصلة عن الخالق ومبذولة لغيره، ونلمح في قوله (اشتدت) معنى القوة والشدة في هذه الريح.

فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ (الأعراف: 175).

ثم قال:﴿

---

[1] – الصورة الفنية في القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا، دراسة جمالية، بلحسني نصيرة، ص50.

[2] – التشبيه التمثيلي في الصحيحين، فايزة سالم صالح يحي أحمد، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في البلاغة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص48.

(الأعراف: 176).

وقد عقّب على المشبه والمشبه به في احتمالهما في ترك الطاعة على وجه من وجوه التخسيس والتدبير، فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته كذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا قوة ولا على عنف.

ثانيا: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة

(الحديد: 20).

فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به، وقد اجتمعا في شبه الإعجاب ثم في التغيير بالانقلاب، وفي ذلك تحقير للدنيا، والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها.

قال عز وجل: ﴿

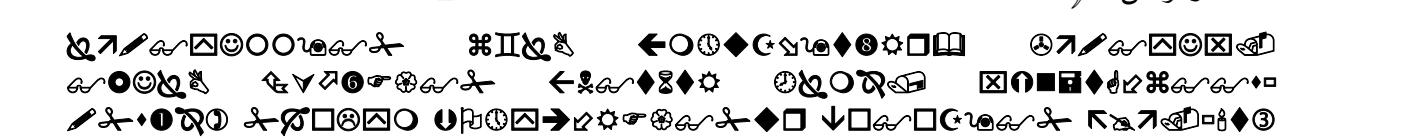

(يونس: 24).

ففي هذا التشبيه تصوير لقيمة الحياة وتمثيل لحقيقتها:" فإن مثلها في بهجتها ومسراتها وهنائها والسعادة مهما بلغت من المناظر البهية والزينة الباهرة ليس لها بقاء والفناء والهلاك، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طالت مدّته، وصغير إن كبر قدره"[1].

كمثل ماء ينزل من السماء فينبت النبات بكل منه، بشر وحيوان، وامتلأ أهل الأرض بالغرور، جاء أمر الله فصار النبات هشيماً والإنسان رميماً.

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ (القمر:19-20).

فشبه حال الناس الذين تزعجهم الريح العاتية، وهو أمر غير مألوف، بما اعتادوا عليه من حال النخل المنقعرة أجزاؤها[2].

ثالثا: إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها من المعقولات والمدركات.

فيشبه هذا المعلوم المعقول الفطن والنبيه والبليد السفيه بما قد لا يستوعبه عقولهم، وما يمكن معرفته وإدراكه عند البعض دون البعض الآخر، فمثال هذا قوله عز وجل: ﴿ ﴾ (الجمعة: 05).

فوجه الشبه منتزع من المشبه به وهذا حسب قول الرماني:" وقد اجتمعا في الجهل بما حملا وفي ذلك العيب بطريقة من ضيّع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية"[1].

---

[1] – أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص97.

[2] – ينظر، جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم وسماته البلاغية، عبد الرحمن بوزنون، ص23.

فما علم بالبديهة أن مما هو مركوز في الطباع، صورة الحمار الذي يحمل أسفارا تدل على الجهل والغباوة، فشبه حال اليهود الذين يحملون التوراة، والجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول وعدم الانتفاع بما فيه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ﴾ (الأحزاب 18).

وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ووهاء المستند، وفي ذلك التحذير من حمل النفس الغرور بالعمل على غير يقين، أي ضعف حال من أشرك مع الله آلهة أخرى يعتمد عليهم ويحتمي بحماهم.

رابعا: إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما لا قوة فيها.

كقوله تعالى: ﴿ ﴾ (الفتح:29)

اجتمع المشبه والمشبه به في الالتفات والتكاثر والتكاثف، وفي ذلك دعوة إلى التآزر والجماعة والاستعانة.

[1] – أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، ص98.

وقوله عزّ وجل: ﴿ ﴾ (الرحمن:24).

فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة في الصفة إلى ما لا القوة فيها، فاجتمع المشبه والمشبه به في العظم، إلا أن الجبال أعظم، وفي ذلك غيره من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها وما في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها.

ومن الأمثلة أيضاً في الخاصية لهاته، قوله عزّ وجلّ: ﴿ ﴾ (الرحمن: 14).

فالمشبه والمشبه به يلتقيان في الرخاوة والخفاف، وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالرياح.

وفي هذا المبحث يمكن تلخيص ما جاء فيه من استقر الخصائص والتمثيل وتتبع جمالياته؛ مع محاولة نظم ذلك وسلكه تحت أصناف جامعة لما تيسر تتبعه منها، والناظر إلى هذه السمات الجمالية على بلاغة القرآن الكريم وروعة بيانه ودقة تعبيره، جزالة ألفاظه وبلاغة في التدليل، وإشراف في المعاني؛ وجمال في التمثيل ودقة التصوير، وقوة التعبير.

المبحث الثاني: الاستعارة التّمثيلية في القران الكريم

إنّ جمال الاستعارة في القرآن الكريم يرجع إلى ما امتازت به من خصائص فنية، وذلك في حسن التصوير والتركيب واختيار الألفاظ اختياراً مناسباً للمعنى.

فألفاظ القرآن موحية صادقة في جعل السامع يحس بالمعنى، وتصور المنظر للعين وتنقل الصوت للأذن كما تجعل الأمر المعنوي محسوساً ملموساً، وذلك بمراعاة حسن التشبيه الذي بُنيت عليه قد روعيت فيه الدّقة في انتقاء اللغة والأساليب للتعبير عن المعنى الذهني المراد بيانه، وفي هذا المبحث سندرس هندستها ومعماريتها وبيان دقة التصوير وبراعة التمثيل.

المطلب الأول: هندسة الاستعارة التمثيلية.

تتمثل هندسة الاستعارة التمثيلية من خلال ظواهر أسلوبية في تراكيبها وبيان قيمة هذه الظواهر في الإبداع والتصوير.

أولا : التقديم والتأخير:

والتقديم في اللغة: من القدم، قدم الرجل، وجمعه أقدام، قال تعالى:﴿ ﴾(الأنفال – 11).

والتأخير هو ضدّ التقديم.

وفي الاصطلاح: هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص.

فالتقديم والتأخير " أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية نقله بسوية لبيان أثره وأهميته والتشبيه عليه"[1].

فالتقديم والتأخير أثر في المعنى نجد أن القدماء قد حصروا عنايتهم به، وكان عمدتهم في بيان سبب التقديم قولهم:" قدّم للعناية به، لأن ذكره أهم"[2].

إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني الذي يعود له الفضل الأكبر في اكتشاف أسرار هذا الأسلوب " التقديم والتأخير" الذي وصفه قائلاً:" باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال عن بديعة ويفضي إلى لطيفة.....، حول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1].

[1] – أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين، لطفي عمر بن الشيخ أبو بكر، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (2)، المجلد7، مارس 2014، ص54.

[2] – المرجع نفسه، ص 49.

فالاستعارة التمثيلية أشرف أنواع المجاز، فإن ما يزيدها بلاغة وشرفاً ما يجري داخل تركيبها من حركات وعلاقات بين أفراد كلماتها، لها دلالات وإيحاءات معنوية جمالية، إذا أن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ، ورصفها بجانب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير.

وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كتقديم الجار والمجرور (الخبر) على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿ ﴾ (البقرة:08).

يتبين سبب التقديم، الخبر الذي هو شبه الجملة جاء عناية بمحل استقرار المرض وهو القلب، لأنها مستقر الخداع ومبعث النّفاق لأنه لم يكن عرضاً زائلاً وحالة عابرة بل مستوطناً ومستقراً، وبهذا التقديم تتبين الاستعارة التمثيلية إخفاء المنافقين، إذ أن المقدم (في قلوبهم) هو مركز الإخفاء.

ومنه كذلك تقديم الظرف على المبتدأ في قوله عز وجل: ﴿ ﴾ (الأنعام: 59).

فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب) هو ذلك لاختصاصه سبحانه في علم الغيب، وتأكيد ذلك الاختصاص بأسلوب القصر فقال (لا يعلمها إلا هو) فخص الله نفسه بعلم الغيب في هذه الاستعارة القرآنية لمجيئها في سياق تثبيت أركان العقيدة الإسلامية، فتقديم الظرف (عنده) لبيان أنه وحده يعلم الغيب بكل ما فيه، وبذلك تتبنى الاستعارة التمثيلية بعلم الله للغيب دون غيره مما يعبد الكافرون.

[1] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1992، ص106.

ومن التقديم أيضاً، تقديم الألفاظ بعضها عن بعض من غير عامل، فمثاله في التنزيل العظيم:

﴿⌘⚷♦☜⍓⌘ ✢✏𝓈✁ 🗐❼■✍♦⇱◆❐ ⌂➔🖬➔❐✇♑♍♑⚷⬀ 🗐❼■✍♦⇱◆❐
☎ ⬃❐◆❑⏲♦⌖♉➘ ⬀⚷♉♎⊠❷⏲✸⏲⬀✇❐🕮 ✁❼■✍♦⇱◆❐ ☎ ⬀⚷♑♍♉➔⇧☺⍓♒
❐◆⍥⬩♍←⚷⬀ ⇱❶⊠✁☮⇱ ⇱♦→♉⑩⚐✇ ⬀✇✇ ﴾ (البقرة: 07). ؛ حيث تقديم القلب على السمع وتقديمها على البصر.

فمركز الإدراك القلب، والحواس ختم له مهمتها التوصيل، وقدم السمع على البصر لما له من أهمية تفوق البصر من ناحية الإدراك.

ثانيا : التوكيد

وهو لفظ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عن الحديث، أو المتحدث عنه، فقد وظف التوكيد في الاستعارات التمثيلية لتوكيد المعنى المراد تمثيله مما يزيدها دقة وبلاغة في التعبير عن المعنى المقصود، وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدّق المراعاة في جميع ما ورد في مواطن التوكيد.

ومن الاستعارات التمثيلية التي وظفت هذا الأسلوب الفني الرائع قوله تعالى:﴿⚞✌♦⌖⬩✍⇱
✁𝓈✏⅄⇦⬄▫☙ ✁𝓈✌+⓷⬩❶⬀❐✁☎ ✌♉♊ ⑩←❐♍⏲ ✁𝓈✏★
✁𝓈⍥⬀➔⍓⟳⌛⊠⌛←❐⚷♉ ✇⊠☺⍓✞⬩✍⬀ ♦⬀❐❐⬃⍥♉⑩◆𝓈✏⬀◆
⇧⚷⊠❶⬩⓷✢✌𝓈✁ ✇♦❹⬃☜☸𝓈 ☎ ❐◆❶♑♌❐ 🕮❐❐⬃♎⍓⬀☙
✁𝓈⍥⬀⌛←❶⇱❐⚷♉ ⍥⬩⍓♦⑩⍓✺♂→ ✁𝓈⍥⬀➔⍓⟳⌛⊠⌛←❐⚷♉ ☎ ⍥⬩❐⬀
🗎⬩𝓈✡←❐✁☎ ⓷♦➔⇧🖬■☺←❐♍☙ ✇✇♒⧓✇ ﴾ (العنكبوت: 41).

وتوكيد المشبه به ما هو إلا توكيد حال المشبه، وذلك بيان ضعف ما يعبده الكافرون من آلهة لا تنفع ولا تضر، وهذا الضعف أكدّ أداتي توكيد " إنّ، اللام" وهذين لتأكيد الإيجاب.

في قوله تعالى: ﴿ ❐◆✌♦𝓈 ④❐○⇔✍♦❐✇❽ ✁𝓈❀☜○⇧⓿◆✏⬀↓ ❐◆⬩⬩
✁𝓈❀☜✌⍓❐◆⏲✞⓿ ❹♑♌❐ ✏𝓈✁⅄ ④←○⇔☺♉⬈← ✌♦♊ ④❐+♦𝓈✏⬀↓ ☎
❐◆✌♦𝓈✏ 🕮❐✡☼✸ ✇♑☺←○⇔☺♉⬈⌖ ✌❐♊ ×♑❼ ✁𝓈⍥⬀⌛→⌨←❐❻♎
✇⌘⌘✇ ﴾ (فاطر: 22).

هي توكيد أداتين (ما، الباء) وهما يعادلان (إن، واللام) في درجة التوكيد، إلا أنهما يؤكدان النفي.

ومن أنواع التوكيد أيضاً: التوكيد بالجملة الحالية في قوله سبحانه: ﴿ ﴾ (الأنعام: 31).

فقد جاءت الاستعارة التمثيلية جاءت تؤكد حسرة الكافرين، وندمهم عند وقوعهم في العذاب يوم القيامة. فتحقق مجيئها في موضع الحال من ضمير (قالوا) أي قالوا ذلك في حال أنهم يحملون أوزارهم.

ثالثاً: التّكرار.

وهو أسلوب من أساليب الفصاحة العربية، فهو يعتبر من إحدى الأدوات الجمالية وهو من الظواهر الأسلوبية التي لها قيمتها، مما يتركه من تأثير وتفاعل في نفس المتلقي، يستعمل لعدّة أغراض بلاغية[1].

ومن فائدته التوكيد والإفهام باعتباره أسلوب بلاغي، فمن البديهي وجوده في كتاب الله المعجز لنزوله بلسان القوم.

فتكرار إما يكون في الآية الواحدة أو السورة الواحدة الاستعارة التمثيلية، فالنسبة للآية الواحدة في تنزيل العظيم:﴿ 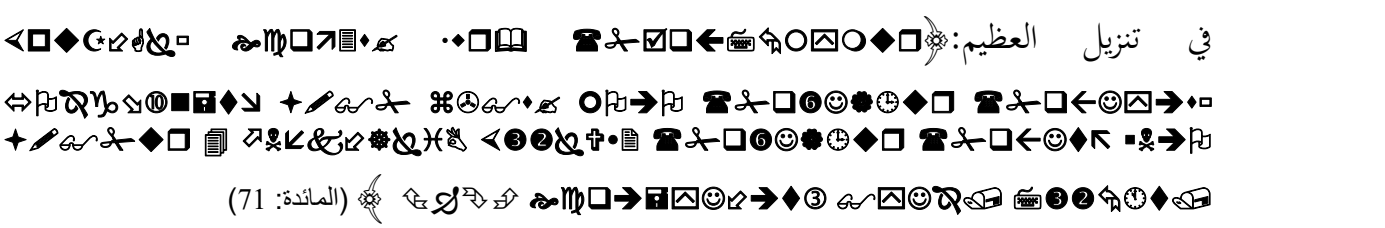 ﴾ (المائدة: 71)

تكرار للأفعال (عمّوا وصموا) وهي من أفعال اليهود على مر العصور وتأكيد لطبيعتهم التي اعتادوا عليها، وفيها استعارة تمثيلية، والاستعارة الثانية عطفت على الأولى باستخدام حرف العطف

[1] – ينظر صفاء حسني عبد المحسن الترك، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، ص 113.

(ثم) يجعل العمى والصمم، فيها أشد من الأولى، وذلك لأن الله تاب عليهم لكن عودتهم إلى الضّلال بعد التوبة ضلال أشد.

أما التّكرار في السورة الواحدة الاستعارة التمثيلية في قوله عزّ وجلّ:﴿ ﴾ (محمد:20).

والآية " وهي استعارة بيان حال المنافقين، وإعادة تكرارها فضح لهم، لقد جاء في معرض التهديد بفضحهم،قوله تعالى:﴿ ﴾ (محمد: 29).

وكشف ما يمرون من حقد وكيد، وهو يؤكد الإنذار، فأمر فضحهم في الدنيا وإخافتهم أكثر مما سيحل بهم عند الموت، فاستعير لهم تركيب في الآية قوله تعالى:﴿ ﴾ (محمد: 25).

بينما كررت الاستعارة (الذين في قلوبهم مرض) الإنذار بفضح الأسرار.

وإذا كان التكرار في اللفظ والمعنى، فإن منه ما يكون في المعنى دون اللفظ.

ومثال ذلك في الذكر الحكيم قوله تعالى:﴿ ﴾(فاطر: 19-22).

في هذا البيان لحال المؤمن والكافر والفرق بينهما وورودها في سياق الاستفهام الإنكاري بنفي الاستواء بين الحالين، ففيه تفضيل لحال المؤمن.

رابعاً: الاستفهام

وهو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام. "أو هو طلب الفهم، وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به"[1].

ويحقق الاستفهام أغراض منها: التقرير، الإنكار، والمبالغة في الاستحقار والتعظيم.

فيخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليؤدي معنى من المعاني السابقة وهذا في الاستعارة التمثيلية وغالبا ما يكون الإنكار محورها[2].

ومما يؤكد خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي لإفادة النفي تمثل في قوله تعالى: ﴿ ▪◆❐ ❼◆✌❑▣☺❧☙✂ ←↗☺⇔○➔✍ ▪◆❐ ❶✆ ◆↗✐◆❺☙✐☙✂ ☎✂❑▲☙◆❐ ✂▪❶✆ ◆×⇦❷✆✍⇳⑨✍ ♦↗✐◆❻☙✐☙✂ ✍❻◞☺✍➔❧☙☙✂ ❽⑨❍◘ ✹✐✆❑🕮 ✐☙◆✍◆❐ ←✍✍◞▪✍❸ ✍◆✆❶ ←↗☺⇔○➔✍ ✆ ⇔✆✆❍■❶■❶✹✆

(النمل: 80-81) ﴾ ✍❑✆ ☙❧❑←☺✆❶⇔○⓾✍ ✍←❍▪▫ ☙◆❻❑◞❸◆★✆✍

وقوله تعالى:﴿ ▪◆❐ ❼◆✌❑▣☺❧☙✂ ←↗☺⇔○➔✍ ▪▪ ▣✹✆✉▪▫ ☎✂❑▲☙◆❐ ✂▪❶✆ ◆↗✐◆❺☙✐☙✂ ○❺✆☙✂ ←↗☺⇔○➔✍ ❑⑨✆▣❍✆ ✹✐✆❑🕮 ✐☙◆✍◆❐ ✍✆✂ ♦×⇦❷✆✍⇳⑨✍ ▪✆ ←↗☺⇔○➔✍ ✆ ☎ ✌✍✆❍■❶■❶✹✆ ✍❻◞☺✍➔❧☙☙✂ ✍✆✂ ♦✆❑←☺✆❶⇔○⓾✍ ✍←❍▪▫ ☙◆❻❑◞❸◆★✆✍ ←✍✍◞▪✍❸ ✍◆✍

(الروم: 52-53) ﴾

ففي الاستعارة في قوله تعالى:" وترد على أعقابنا" معطوفة على ما قبلها " يفيد الاستفهام استخدام الهمزة للإنكار والنفي، إنكار دعوة الكافر قال تعالى:﴿ ✍➔🕮❑✍⇳⑨◆✹❑🕮 ✍✍ ☎✂❑✍✍⇳⑨◆✹❑🕮 ✍✍

[1] – البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1985، ص 168.

[2] – ينظر، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، صفاء حسني عبد المحسن الترك ص 116.

(الأنعام:71)

ين لهم بالعودة إلى الكافر، ونفي هذه الدعوة[1].

ومن معاني الاستفهام كذلك ما يطلب به إقرار المخاطب، وهو الاستفهام الوارد للإثبات في الاستعارة التمثيلية، وفي هذا الاستفهام إقرار المخاطب بأن حال المؤمن الذي يسير على هدى من ربه أفضل من حال الكافر قوله تعالى: 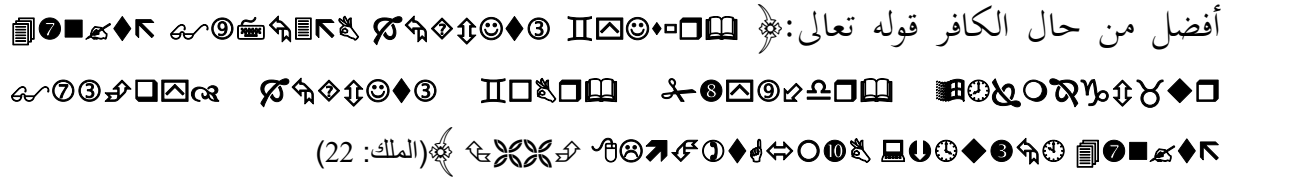
(الملك: 22)

فر الذي يتخبط في عبادة ما لا تنفع ولا تضر.

وهذا تمثيل الفرق بين من يمشي سويا على صراط مستقيم، وحال من يمشي متعثراً يتخبط في طريق متعرّجة والاستفهام هنا تقريري[2].

وفي الأخير يمكن استنتاج فائدة الاستفهام في القرآن وبيان معناه أنه يراد به النفي أو الإثبات لتقرير البشر أو تذكيرهم، وهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن.

خامساً : أثر السياق في تغير صيغة الفعل في الاستعارة التمثيلية

والسياق هو: البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وعبّر البلاغيون عن ظاهرة السياق بمقولتهم الدقيقة فإن:" لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام"[1].

[1] – المرجع السابق، ص 117.

[2] – المرجع نفسه، ص 118.

فالفعل يدل على الحدث الذي يحدده صفته من حيث الزمن، فالماضي يدل على أن الحدث قد تمّ وتحقق، والمضارع يدل على الاستمرارية والتجدد، والأمر يدل على طلب الحدوث في المستقبل.

فالسياق أثر في انتقاء صيغة الفعل الذي يخدم الغرض وتحقق الهدف، فنجد الاستعارة التمثيلية تستخدم الفعل بكل صيغة، ومن هذه الاستعارات التي تمثل الإنفاق في سبيل الله تعالى بالقرض الحسن في التنزيل العظيم قوله تعال: ﴿ (البقرة: 245)

فوردت الاستعارة بصيغة المضارع.

وبصيغة الماضي، قوله عز وجل﴿ (الحديد: 18)

وفي الآية الأولى تحريض على الإقراض، والاستفهام مستعمل في معنى التحريض مجازاً، لأن شأن المحرض على الفعل أن يبحث عمن يفعله ويتطلب تغييبه، ليجاريه عليه.

ومن الملاحظ أن الجملة الفعلية (أقرضوا) قد عطفت على (المصدقين) وذلك اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل، وفي قراءة أخرى وردت" بتخفيف الصاد فتكون المصدقين من الصدق أي بمعنى الذين صدّقوا الرسول، وامتثلوا الأوامر الله فأنفقوا في سبيله"[2]، وهو القرض الذي تم التحريض عليه لذا انتقى في السياق صيغة الفعل الماضي لبيان المؤمنين بالتزام بحث الله تعالى.

[1] – البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، للنشر، مصر، 1994، ط1، ص 305.

[2] - الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، صفاء حسني عبد المحسن الترك، ص 125

ومن روعة التعبير القرآني اختيار الألفاظ وإن كان فعل العمل في صيغة الماضي (أقرضوا) إلا أن فعل المجازاة في صيغة المضارع (يضاعف) وذلك دلالة على استمرارية الثواب، مما يشجع على استمرارية ذلك.

في سورة المزمل، وظفت الاستعارة التمثيلية صيغة الأمر. لقوله تعالى:" فالجملة " أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" فعلها فعل أمر في هذا العطف أي عطف النافلة على الغرض، واستخدام صيغة الأمر، دلالة على أهمية الصدقة الحسنة التي تكون من خلال المال الحلال، يتصدق بها عن طيب نفس ورغبة في نيل رضا الله تعالى.

قوله عز وجل: (المزمل: 20)

وعليه يمكن القول أن السياق القرآني يختار الصيغة الفعلية التي تنتظم مَع حبات عقدة، فبشكل المعنى المقصود بكل العادة الدينية أولاً والبلاغية ثانياً.

وخلاصة القول في هذا المبحث هو أن الاستعارة التمثيلية تقوم على التصوير وتمثيل المعنى، فتبدع في اختيار الألفاظ والأساليب المعبرة عن المعاني مع انتظام الكلمات في جمل ومن قم في فقرات لنسج صورة فائقة الروعة بطريقة مميزة.

المطلب الثاني: موضوعات الاستعارة التّمثيلية ودلالاتها.

تقوم الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم برسم صورة رائعة، من خلال بث مشاهد وسلوكات وطباع، نهى عن الإسهام وحاربها، أو أمر بها ونادى بها، فتخرج المعاني واضحة جلية، فاختصت بدراسة السلوكات والطباع... وأخلاق في هذا المبحث:

***أوّلا**: السلوكات والطباع التي نهت عنها الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم:*

1- الرجوع عن الحق:

أي الانصراف عن الحق والعودة إلى الباطل والكفر، فعندما لا يثبت الإيمان في القلب، يمتلأ بالشهوات، والطباع السيئة، وسرعان ما يعود إلى ظلمات الكفر. ومن خلال الآيات القرآنية تتبع استعارات تمثيلية تصور المشاهد وما فيها من حركات.

قال الله تعالى: ﴿ ﴾ (آل عمران: 144)

وقال أيضاً: ﴿ ﴾

﴿ (آل عمران: 149)

وفي سورة الأنفال قوله تعالى﴿

﴿ (الأنفال: 48).

قال تعالى:﴿

﴿ (الحج: 11)

يقال:" رجع على عقبه، نكص على عقيبه، بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه"[1].

وكل تراكيب القرآن الكريم الوارد هو تمثيل لحال المرتد إلى الشرك بعد إسلامه بحال من خرج من مطعمة فرجع على عقيبه، وهذا أبلغ تمثيل لسوء ولحال ضعيف الإيمان الذي يرجو بإيمانه سوى الغنائم الدنيوية، فهو عند مواجهة المحن يعود إلى الشرك، والممثل به من يدخل مع قوم دخول طالب المغنم فقط، في الأخير غن وجد معهم منْعماً استقرّ، وإنْ أصابته مصيبة تركهم وانْقلب عليهم.

وفي سياق القرآن للاستعارة التمثيلية" انقلب على وجهه" جواب الشرط (إن أصابته فتنة) فالإصابة بالفتنة شرط لحدوث الردة والرجوع عن الحق.

[1] – صفاء حسن عبد المحسن الترك، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، ص 56.

وتوظيف الفعل الماضي دلالة على تحقق الردة لدى المنافقين، واختيار كلمة وجهه أسهمت في بلاغة التركيب الاستعاري، إذ أن الوجه أشرف جسم الإنسان وعنوان كرامته، فإذا انقلب الإنسان على وجهه أصبح ذليلاً حقيراً خسر دنياه وأخراه.

2- استبدال الأدنى بالأعلى:

جاء في الذكر الحكيم:

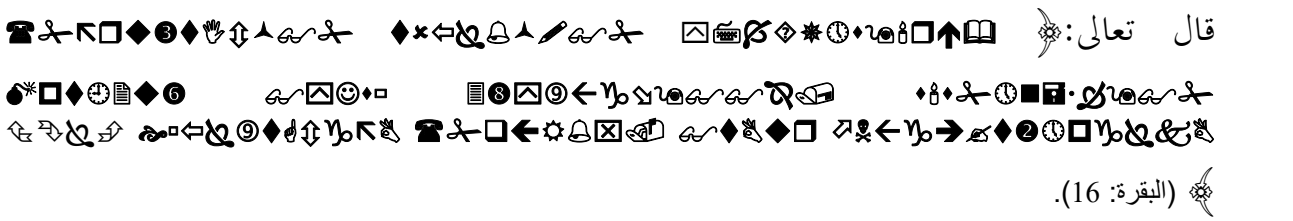

(البقرة: 16).

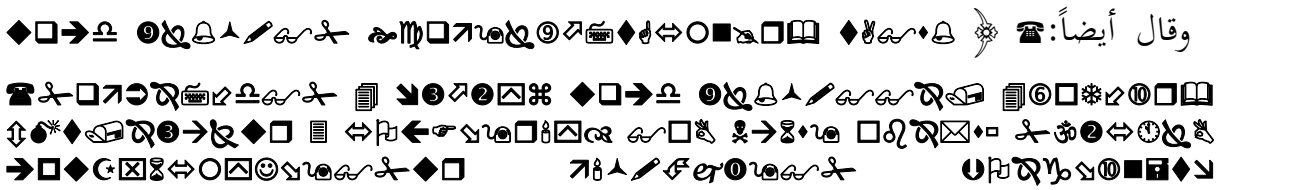

(البقرة 61).

وفي سورة آل عمران قوله تعالى:

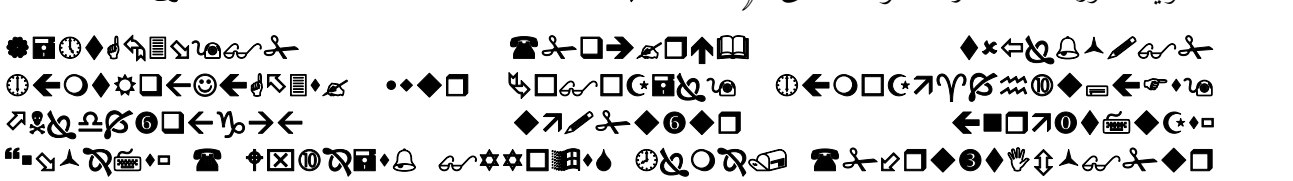

(آل عمران:187).

وقال عزّ وجل كذلك:

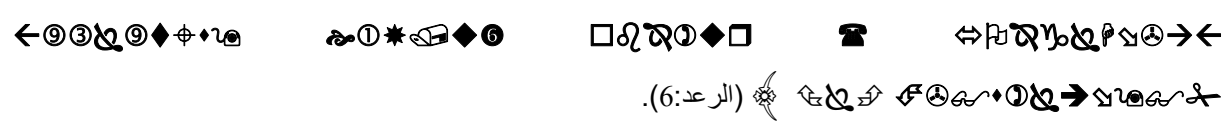
(الرعد:6).

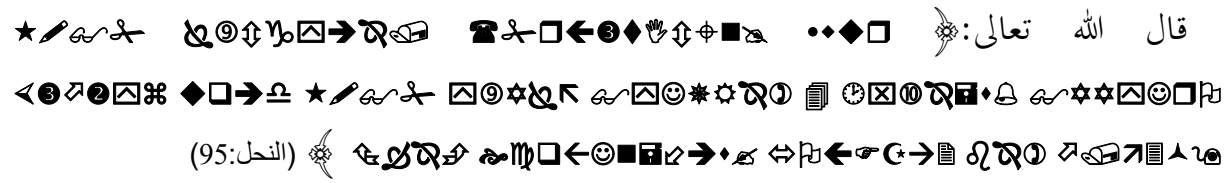
(النحل:95)

تمثل الآيات الكريمات حال المنافقين الذين تظاهروا بالإيمان، واستضاءوا ببعض نوره، لكنهم لمطامع الدنيا في أنفسهم، تخلو عن الإيمان واتبعوا الكفر، وكلت بصيرتهم، واختاروا الشر، رغم معرفتهم للخير والحق، الذي سيخلدهم جهنم، بحال تجار أغبياء يغترون ببضاعة فاسدة الجوهر؛ فيستبدلونها بما بين أيديهم من بضاعة غير معروفة القيمة، وبذلك خسروا بضاعتهم وهلكوا حسرة وندماً.

ومن البلاغيين من اعتبر المجاز في لفظ الشراء فقط، فوضعوه على أنه استعارة تصريحية، فجعلوا لفظ التجارة في تركيب الأول ترشيحاً لها؛ يقول الشريف الرضى:" وهذه الاستعارة والمراد أنهم استبدلوا الغير بالرشاد والكفر بالإيمان، فخسرت صفقتهم وكم تربح تجارتهم، فالله سبحانه أطلق اسم التجارة على أعمالهم في الآية الأولى بلفظ الشرّ لا تأليفاً لجواهر النظام وملاحمة بين أعضاء الكلام"[1].

وفي الوقت نفسه لا يتنافى مع الاستعارة التمثيلية التي تبينها النظرة الكلية لكل من هذه التراكيب باعتبارها ألفاظها جواهر منتظمة.

تكمن بلاغة التركيب ودوره في الاستعارة التمثيلية في الآية الأولى من سورة البقرة :

(البقرة: 16).

[1] – تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى محمد بن الحسين، تقديم على محمود، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986، ص 31.

فتوظيف اسم الإشارة (أولئك) الذي يدل على بعد الكافرين عن الإيمان، والاسم الموصول (الذين) الغاية من استخدامه التقرير الذي سبق من الكلام من أجله، وهو عدم إفلاح هذه الفئة وخسرانها، فالاسم الموصول جعل خبراً لشد الانتباه السامع، وفي إسناد نفي الربح للتجارة، أن إثبات الخسارة لتجارتهم مفيد لبطلانها أساساً، فاستطاعت الاستعارة التمثيلية أن تعبر عن المعنى بطريقة بلاغية مؤثرة.

2- المنّ والأذى

المنّ" هو أن يذكر المحسن إحسانه على المنفق عليه، وإظهار تفضله عليه، الأذى هو التطاول والتفاخر، وبالتالي هو خسر المال والأجر والثواب"[1]، وهذا واضح في قوله تعالى﴿ ﴾

﴿(البقرة 263).

وقال أيضًا:﴿ ﴾

﴿(البقرة 264)

ويقول سبحانه وتعالى في نفس السورة:﴿ ﴾

[1] – ينظر، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، صفاء حسن عبد المحسن الترك، ص59.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة 266)

والآيات مثل لعمل المرائي الذي يتبع صدقاته بالمن والأذى ووجه الشبه هو حصول خيبة ويأس في وقت عام الرجاء وإشراف الإنتاج.

وحتى لا يبقى لدى المنافقين المرائين أدنى اعتقاد بالحصول على أجر الإنفاق هذا جاءت الاستعارة التمثيلية تريهم أنهم عندما يكونون في أمس الحاجة للحسنات لا يجدونها؛ فالمشبه به حال صاحب جنة يعفي وينفق على ذلك الوقت والجهد والمال وعندما يحين وقت الجني لا يتمكن من ذلك، فحسرة كبيرة وندامة أن تعود جنة قاعاً صفصفاً حين احتاج لها، وله أطفال ضعفاء غير قادرين على شيء، فإذا بإعصار يؤججها بنار محرقة.

وعند انتهاء فالمشهد إلا ويترك أعظم أثر في تقوى السامعين المؤمنين.

فالاستفهام في قوله" أيوّد" استفهام إنكار وتحذير، كما أن التعبير في صيغة الفعل في هذه الاستعارة دلالة على تحقق العقاب وزوال النعم من خلال توظيف الفعل المضارع في حال الرضا.

4-البخل

وهو نقيض الكرم[1]

ومن الاستعارات التمثيلية التي صورته:

قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: 92)

[1] – في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ط7، ج3، بيروت، 1971، ص454.

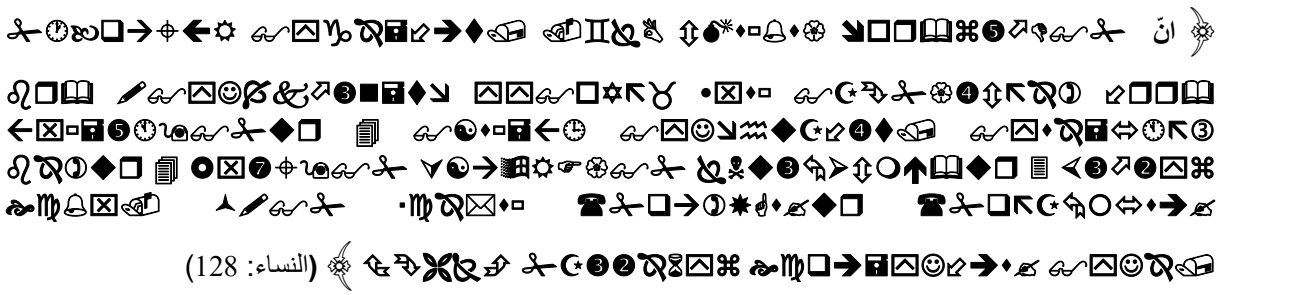

(النساء: 128)

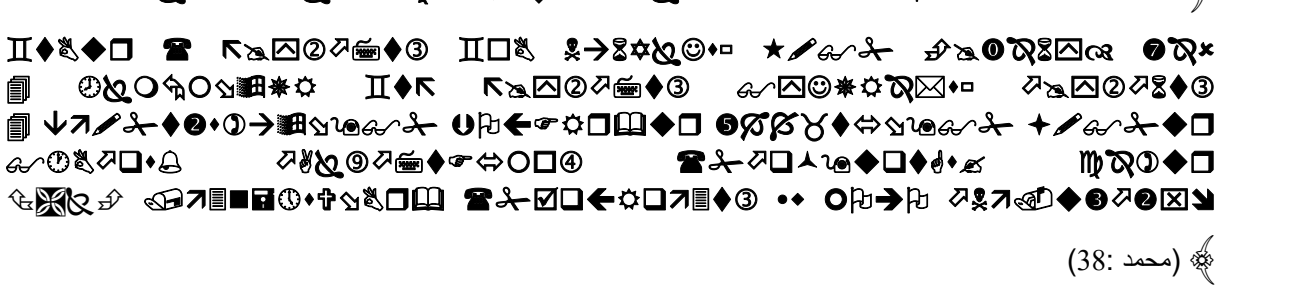

(محمد :38)

قال تعالى:

(الفجر: 20)

وقوله سبحانه: 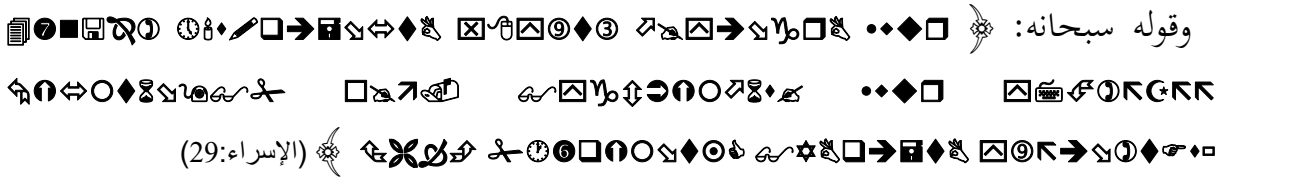

(الإسراء:29)

في سورة الإسراء تمثيل لمنع الشحيح، والاستعارة أدّت المعنى بتمثيل الذي يبخل بالمال الذي غلت أي شدت بالغل، فإذا غلت اليد إلى العنق تعذر عن التصرف بها فتعطل الانتفاع بها فصار مصدر البذل معطلاً فيه؛ ومن بلاغة الاستعارة ما تؤديه من أثر في النفس البشرية أنها ترسم للبخيل صورة منفرة، حيث ساهم كل لفظ من ألفاظها في رسم الصورة فاختيار لفظ اليد دون غيرها من أعضاء الجسم، لأنها أداة العطاء ويجعل في عنق الأسير أو المجرم.

فكلمة مغلولة دلالة لا يؤذيها أي من مرادفها كلمة مقبوضة، فاليد المغلولة التي أدخلت في الغلّ، والغلّ طوق من الحديد، وبذلك تصور الاستعارة حال البخيل الذي سيطر عليه حب المال فلا يستطيع الإنفاق، بحال الأسير الذي وضعت يده مع عنقه في غل لا يستطيع إفلاتها منه.

ومن خلال هذا المشهد ترسم صورة البخيل لدى السامع، والاستعارة التمثيلية حولت المعنى الذهني إلى مشهد حي مؤثر.

5- اتباع الظن

الظن وهو الشك وهو نقيض اليقين.

ومثال الاستعارات التمثيلية في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿

﴾

(النساء:157)

﴿

﴾

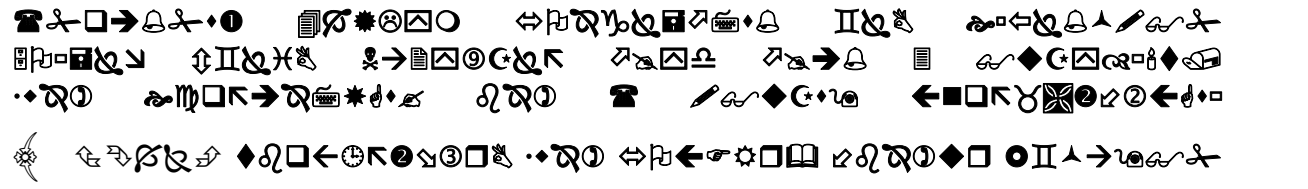

(الأنعام:148)

(القصص50)

(الحجرات:12)

ففي الآيات الكريمات وصف لحال من اتبع الظن، وتأكيد لضالة عقولهم فإن المسلمين يستعيرون آيات من الذكر الحكيم تراكيب وعبارات تفي بالغرض وتشفي الغليل. فهذه التراكيب لا تتساوى في درجة سيرها على الألسن وذلك يعود إلى مدى ثقافة المتمثل ومدى إلمامه بآيات القرآن الكريم، فأكثرها جريانا على الألسن عبارة " إن بعض الظنّ إثم" .

فاعتماد الإنسان على الظن يجعله يصدر أحكاماً وهذا يوقعه في كثير من الخطأ والخطأ قد لا يكون أمراً هيناً، وهذا ما تؤكد العبارة باستخدام حرف التوكيد (إن) التي جاءت بعد اجتناب الكثير من الظن " اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم".

وقد يكون أمراً هيناً للإثم فيه ولا ظلم لأحد فيه، فلا يقضي بصاحبه إلى ضرر.

6-الضعف

وهو خلاف القوة.

لقد صور القرآن الكريم مشهدا رائعاً يمثل أعلى درجات الضعف وذلك في قوله: ﴿ ﴾ (العنكبوت:41)

والاستعارة التمثيلية جاءت بعد التشبيه التمثيلي الذي شبه من يتخذ أولياء من دون الله بالعنكبوت؛ لتشبه حال الأولياء الذين اتخذوهم الكفرة آلهة لهم، بحال بيت العنكبوت وما هو عليهما من ضعف، فمجيء الاستعارة التمثيلية تذييل للتشبه التمثيلي جعلها تقرر الغرض وتؤكد المعنى؛ كما أن توظيف الاستعارة التمثيلية لأسلوب التوكيد باستخدام أداتين (اللام، إن) يؤكد حال المشبه (ضعف المعبودات من دون الله)، وتعريف كلمة (بيوت) تدل على الاستعارة التمثيلية على المفاضلة تشمل جميع البيوت، أما تعريف كلمة (بيت) بإضافتها إلى العنكبوت فقد أفاد معنى لتحقير.

وبهذين الأسلوبين (التوكيد والتعريف) تتبين الاستعارة التّمثيلية للسامع مقدار وهن المعبودات دون الله

ثانيا: *مثل وأخلاق دعت إليها الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم:*

بعدما رأينا سلوكات وطباع في الاستعارة التمثيلية قائمة لمواضيع سلبية في هذا الباب نلقى أخلاق إيجابية ومشاهد منيرة دعت إليها.

1- اتباع الحق

أي السير[1] على نهج الرسول الله صلّى الله عليه وسلم والإلتزام بالدعوة التي جاء بها، الحق نقيض الباطل، جمعه حقوق.

ومن الاستعارات التي تناول هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿

﴾ (الفاتحة:06)

﴿

﴾ (البقرة :38)

﴿

﴾ (البقرة :256)

﴿

﴾ (آل عمران :103)

﴿

﴾ (آل عمران :103)

[1] – لسان العرب، ابن منظور، م(8)، دار صادر، بيروت، ط1، مادة تبع، ص27.

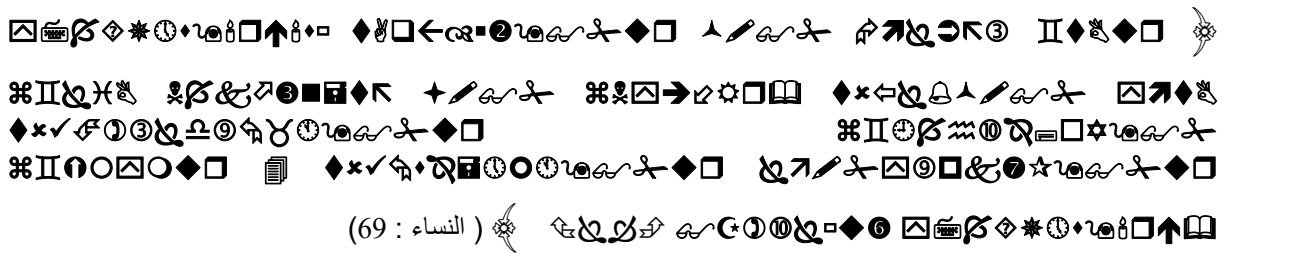

(النساء : 69)

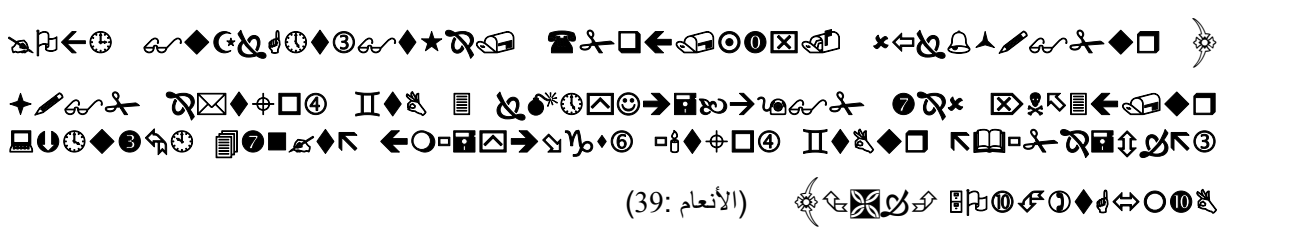

(الأنعام :39)

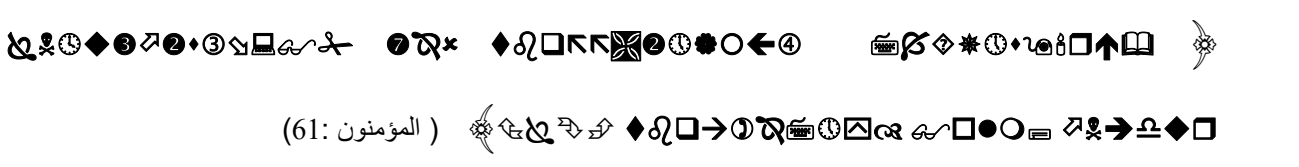

(المؤمنون :61)

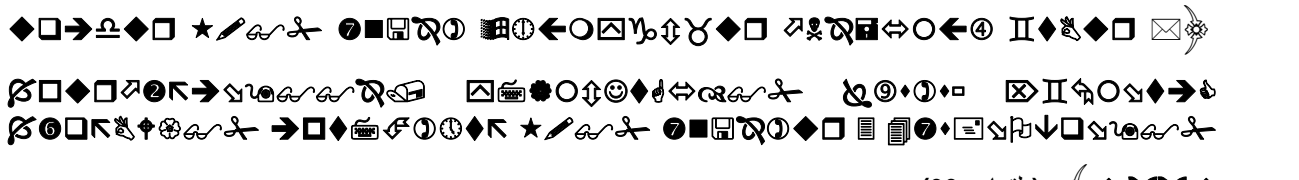

(لقمان :22)

(الملك:22)

2-الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق يعني الصرف، إنفاق المال أي صرفه

(البقرة :245)

﴿ ﴾

﴿ ﴾ (المائدة : 12)

﴿ ﴾ (التغابن:17)

قوله تعالى: ﴿ ﴾

﴿ ﴾ (البقرة : 245)

والمعنى المنفق في سبيل الله كمثل من يقرض الله ومثل الله تعالى في جزائه كمثل المستلف مع من أحسن قرضه وأحسن في دفعه إليه.

فحال المنفق في سبيل الله المتصدق مما رزقه الله مبتغيا رضاه، والله يبارك له في ماله ويضاعفه، كحال من يقرض إنساناً أميناً وفياً مالاً، فيقوم بالمناجرة ثم يعيده إلى صاحبه أضعاف مضاعفة إلى جانب عطايا من جنس القرض.

وفي سورة الحديد، قوله تعالى: ﴿ ﴾ (الحديد :11) استعارة تمثيلية ولها الدقة العظيمة في اختيار الألفاظ والأساليب في تصوير المعاني.

فتوظيف أسلوب الاستفهام في هذه الاستعارة يفيد الحث والتحريض على الإنفاق في سبيل الله، إن فعل (التصدق) يمكن تحقيقه، لا يخفى أثر ذلك على النفس الإنسانية التي ترغب في لبن القول، وتستجيب للتحريض، باستخدام الاستعارة رسم الإشارة (ذا) استطاعت إبراز أهمية المنفق في سبيل الله تعالى.

فتزيد الاستعارة قوة بناءها وروعة بلاغتها، باستخدام الاسم الموصول (الذي) ويأتي القرآن بالاسم الموصول، عندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم، فالقرض الحسن هو مدار الحكم في مضاعفة القرض والأجر والثواب.

والآيات تمثيل لحال المؤمن الملتزم بالإيمان، وثبت عليه بحال من تمسك بحبل متين مأمون انقطاعه ليحافظ على سلامته (فقد استمسك بالعروة الوثقى) استعارة تمثيلية فقد مثلت حال المؤمن الثابت المتوكل على ربه بحال من تمسك بحبل متين ثابت لا ينقطع.

وهو يتمسك بحبل الله أمِن من الوقوع في التي كان على حافتها قبل مجيء الإسلام، قوله تعالى:

﴿☎✃❒⬉❷⬈✍✍⬊❶✍✃◆❒ ❁❁☐☺⬀➔♉☼ ★✐✍✃ ⬁❈⬈▤⬊⓿■◘◆⬊ ⬊❶♐◑
⬀☹⬈⬇⬮⬈✍◆❒ ◑⬈✐✃☐⑨⇧⬉❒📖 ☐✃⅄ᴧ❒⌛ ◆×⬀✓◆✍ ⬁❈⬈▤♐✍❒➔◘➔♁
☹⬈⬇⇔⬧◆⌨⇧⑤❒⌛ ▦◴♉○♉☞◆☺⬀➔♉⬮♐✍ ✍⬮☼⑤◆❒⬀⌘♐◑
⬀☹⬈⬇⬮⬈✍◆❒ ▭❒◆❷⬊▦⬉○ ⌘♊♉♓✍ ✍☒▦☒⅄ ▤❼■✍◆⬉ ♔❻✍❒⬮ᴧ✍✃
❈⬈✍☒⓿⬧◑☼❒⌛ ▤ ✍❒♂⬀❁♉♓✍ ☐⌨♉ᴧ⑤☒⓿☒✍ ✦✐✍✃ ⬅×♐♓✓◆❽⬉③
◑♉○♉✍⑤◆③✃◆⬈ ⬀❈⬈▤⬧ᴧ ⬀✍⬈▤✦◘☐➔⬧ᴧ ◆♌❒⬅⑨◆✍⬀♂⬧☜ ✍✍✍✍✍﴾

(آل عمران:103)

فالتركيب استعارة تمثيلية شبه لهم في الجاهلية بحال المشرف على حفرة عميقة بجامع الهلاك في الأمرين، لكن من يقف على حافة الحفرة، لكنه ينقذ نفسه بتمسكه بحبل متين.

فالحق له أنصاره وروّاده، ومن خلال الاستعارة رأينا مشاهد مؤثرة في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿

✋◆ ☐■✃◆❷⬊✍♐◑ ❼♐× ✍×⇦♉♏✍✐✍✃ ☎ ⑨⬧♁ ◆×☐✓◆❽☐✍
⬀❷➔▦⬂▤◆③ ♊◑☺⬧⌛ ▤ ♆♍♔☒⬀⬊ᴧ✍✃ ⌘♊♉♓ ⬅⑨⇧⅄❾❷ᴧ✍✃
♉☠☐⬈⇔◴⅄⊃ᴧ✍✍♐✍ ◫⇗♉♓⬀⬧⬉③◆❒ ★✐✍✍♐✍ ♉⑨⬧◑⌛

﴿ ﴾ (البقرة :256)

وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوسة، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده، والتيقّن به.

وفي تركيب الاستعارة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فكل كلمة فيها تسهم في بلاغة الصورة التي يشكلها، والحال التي يصورها، تحقق التأكيد في هذه الاستعارة التمثيلية واستخدمت الحرف (قد) حرف تحقيق، وهو معنى تأكيد.

وفي مفهوم العروة تخصيص لها وتمييز عن غيرها، ثم إن في وصفها بالوثقى، ثقة ومتانة، لذلك توحي بقوة المتبع لدين الله عز وجل[1].

فيوصف القرض بكلمة (حسنا) تصور الاستعارة التمثيلية منظر مشرقاً للمقرض فهو يقرض عن طيب النفس، وبعده عن المن والأذى، ثم إن هذه الصورة تمد ظلالها وإشراقها إلى الصورة المشبهة، وهي ما يجب أن يكون عليه حال المنفق في سبيل الرحمان.

فالصورة المشبهة تثير في النفس حب المال والحصول على الأرباح المضاعفة وهذا الأثر لا يؤديه أي تركيب استخدم الألفاظ الموضوعة في أصل اللغة.

3- الصبر

وهو نقيض الجزع ويكون بتحمل الوقوع فيما يكره وتحمل البعد عما يجب. ومن صور الاستعارة التمثيلية في هذا الموضوع.

[1] – ينظر، الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم، صفاء حسني عبد المحسن الترك، ص78.

قوله تعالى: ﴿ ﴾ (البقرة :153)

﴿ ﴾ (البقرة :250)

﴿ ﴾ (الأنفال :46)

﴿ ﴾ (يوسف :18)

﴿ ﴾ (النحل :126)

﴿ ﴾ (طه :130)

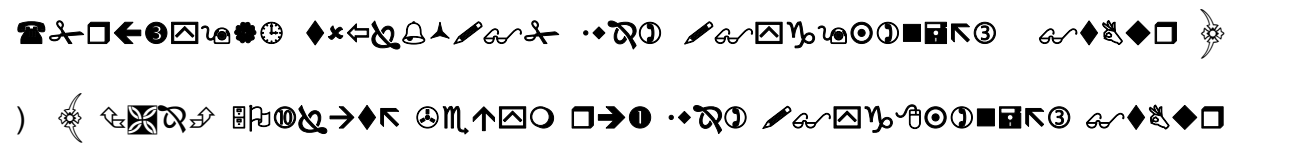

فصلت :35)

(الزمر:10)

وفي قوله تعالى:

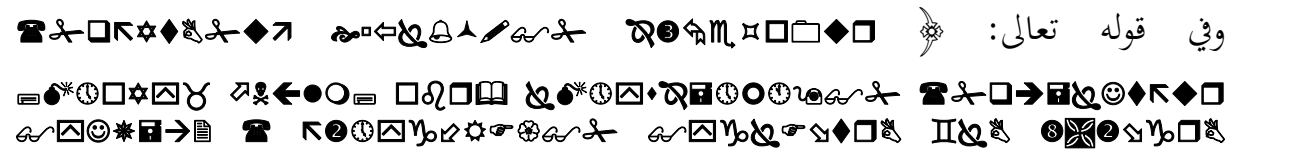

(البقرة:25)

استعارة تمثيلية شبّه حال الصابرين، بحال الماء الذي يصب ويفرغ على الجسم فيعمّه كلّه، والتركيب دعاء يجري على الألسن مجرى المثل عند الوقوع في البلايا، وما يفيده التركيب، ما يثيره في النفس من طمأنينة يحس بها من صدأ جسمه بماء يلقى عليه، وهذه الراحة تشبه الراحة النفسية التي ينالها من منح هبة الصبر الجميل.

فالنداء في هذه الاستعارة محذوف، ودلالة ذلك قرب الله عز وجل من عباده المؤمنين، كما يدل على شدة الموقف الذي يعيشه هؤلاء المؤمنين.

ثم إن لفظ (أفرغ) يدل على معنى منحهم الصبر دون غيره، ومنه يؤدي هذا اللفظ معاني الإحاطة والشمول، ثم في هذا الأسلوب أمر يخرج من معناه الحقيقي ليفيد معنى الدعاء فهو موجه من الأدنى

(العباد) إلى الأعلى (الخالق) ويدل ذلك على شدّة افتقار العباد إلى خالقهم في هذا الموقف العصيب.

كما تقدم الجار والمجرور (علينا) على المفعول به (صبراً) في ذلك تخصيص أي قصر على الفئة المؤمنة الصابرة.

أما كلمة (صبراً) فجاءت نكرة، ومن ذلك تتبين الاستعارة التمثيلية على عظم الموقف وفخامته من خلال تفخيم الصبر الذي هم بحاجته للثبات في المعركة.

ومن بلاغة الاستعارة أنها تنتقي الألفاظ الذي تبدع في رسم الصورة للمعنى المراد تمثيله وأهمية الصبر عند القتال بحسن اختيار الأساليب الموظفة للتمثيل.

4-: التواضع والتسامح

التواضع هو التذلل والتخاشع وهو نقيض التكبر، والتسامح من المسامحة، المساهلة، التساهل.

ومن الاستعارات التمثيلية في هذا الموضوع، قول عز وجل:"

(آل عمران:159)

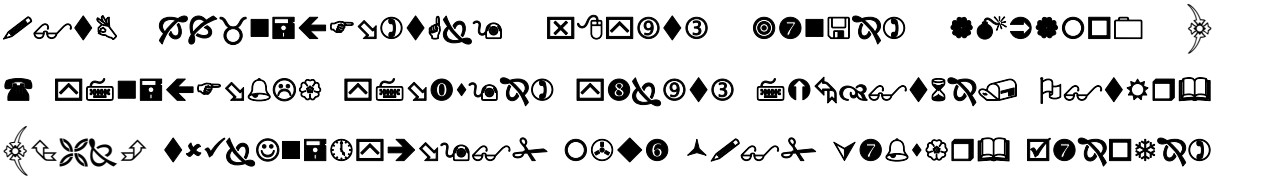

(المائدة:28)

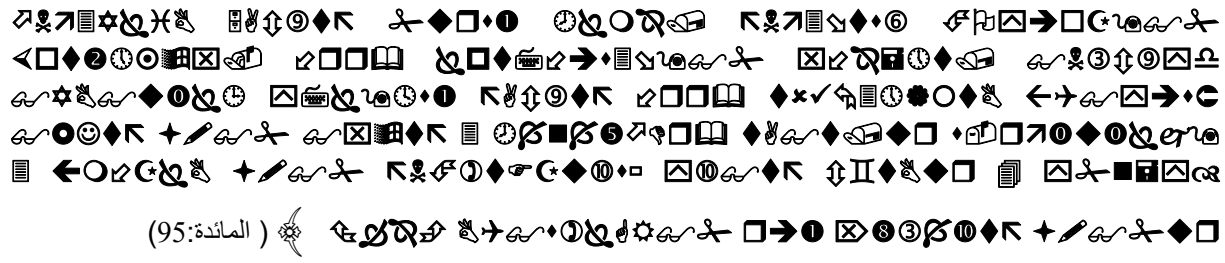

(المائدة:95)

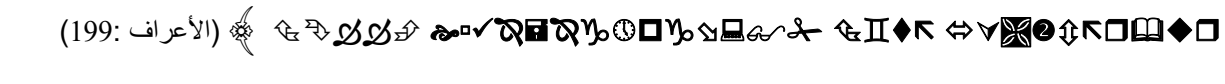

(الأعراف :199)

(الأنفال :61)

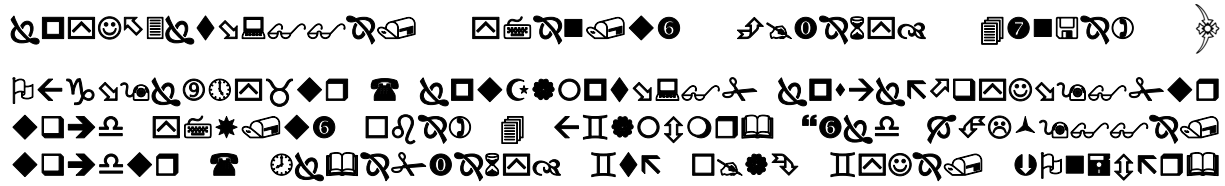

(النحل :12)

(الإسراء :24)

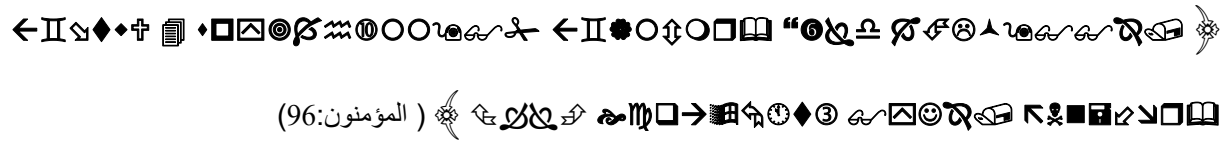

(المؤمنون:96)

فكل هذه الآيات فيها دعوة إلى التواضع والتسامح واللين في المعاملة فقد اكتسبت هذه التراكيب صفتها المثلية لما فيها من قيم وتعاليم مثلى.

ومن هذه الاستعارات ما يدعو إلى برّ الوالدين في سورة الإسراء في قوله تعالى:

﴿ ⌘Ⅱ🙶✍ ☙ℳ✌ᘐ🕭🖋☙✂ ⊠⊠☙◆☪⊠♉ ☙⊠☺←ᘏ•ᘓ ⇳ᗅ🙶▦◪⌘☙✂◆❒ ☙⊠☺⊠🖃 ☙⊠☺←ᘏ◪ᘔ⊠❑⬀❻☙✂ ☙ᘔ✇▪❻ ✍➔🕭◆❒ 🙶❑⊠☺⇳○▪❷ᘓ☙✂ ❻◆🖃✸❶◆❼ ❼ᘐ❁☙◆❶✸🖃◆❻ ✂☪❸❷☙⇔✹🕒 ⇜✀✀ ﴾ (الإسراء:24)، فخفض الجناح مثل في التواضع مأخوذ من حال الطائر عندما يريد الانحطاط للوقوع فإنه يخفض جناحه وهذا على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وهذه الأخيرة عجيبة والمراد من ذلك خفض الجناح عبارة عن الخضوع وهو ضدّ العلو والتعزّز إذ كان الطائر يخفض جناحه إذا ترك الطيران، وهو العلو والارتفاع.

وفي تعريف الرحمة (ال) هو عوض عن التعريف بالإضافة وتقدير الكلام (من رحمتك بهما) ومن الابتدائية، تفيد أن هذا الذل سببه الرحمة بالأبوين، وليس الخوف منهما.

وهذه التراكيب فسرت على الألسن سير الأمثال في الإستشهاد، وتقديم البرهان على أهمية حسن المعاملة والدعوة إلى الخير، وإن كان بعضها موجهاً للرسول الله صلّى الله عليه وسلّم- في قوله:﴿ ⇜☙⇔❹ᘓ➔ᘖᘓ☙☙ᘐ🖃 ⇔❺←🏷▫🕮◆❒ ◆❑ᘖ▦⊠➔ᘖᘓ☙✂ ✍❶➔❀ ❒◆🕮ᘓ⊠❷⇳ᘓ❒🕮◆❒ ⇜Ⅱ♦ᘓ ⇔∀❷⇳ᘓ❒🕮◆❒ ✍▫✓ᘐ▦ᘐᘏ🕒❒ᘏᘖ🖳☙✂ ⇜✀✀ ﴾ (الأعراف :199)

فهي مثل يحتذى للأمة جمعاء مهما توالت الأزمان فقد رسمت مكارم الأخلاق للرسول – عليه الصلاة والسلام- بأضوائها راصدة، فهذه الآية تدور على شفاه يوصي بها الناس بعضهم البعض وكأنها معنية في خطوطها السائرة، مما يمنحها قوة المثل.

5- الإصلاح

الإصلاح هو ضدّ الإفساد، ونقول الإصلاح ودعاته نفيضها الفتنة ولكل من هذا التراكيب قرآنية مستعارة لتمثيلها.

ومن الاستعارات المعبرة عن هذا الموضوع

(سورة البقرة-11)

(النساء :128)

(الحجرات :09)

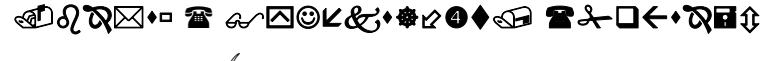

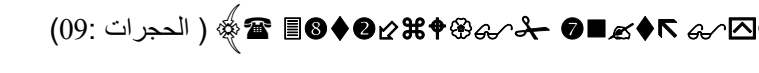

(الحجرات :10)

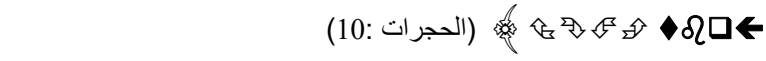

(هود :88)

فالتركيب الأول يبين الهدف ويعلل الموقف، فقد ورد على لسان المنافقين المفسدين الذين كانوا يثيرون، الفتن، ورداً على من نهاهم عن الفساد، فادعوا الإصلاح وابطنوا الفساد، لكن الله كشف غطاءهم بقوله:" ألا إنهم المفسدون"

وفيما يخص التراكيب المتبقية، فتستعار لمنح الصلح وتفضيله على الشقاق والدعوة إليه، ومبادرة المسلمين إلى الصلح بين إخوانهم، إذا وقعت بينهم خصومه.

وفي نهاية المبحث يمكن تلخيص فائدة الاستعارة التمثيلية أنها قد تجمع بين المتخالفين ونكشف عن جمالية التعبير، إذ لا يحس بها السامع في الاستعمال الحقيقي، فهي من أبرز صور البيان العربي وأروع مشاهده الفنية جلي فيها القرآن الكريم بكثير من مواطنه، حيث تناولت مواضيع تدعي فيها إلى سلوكات وطباع وتنهى عن أخرى.

الخاتمة

الخاتمة

في ضوء ما تناولته الدراسة عن موضوعنا المتواضع الموسوم ب "أسلوب التمثيل في القران الكريم" توصلنا إلى نتائج عدة هي كالأتي:

-اتفقت كتب البلاغة على أنّ مفهوم التّمثيل في كلّ من التّشبيه والاستعارة يكون فيها وجه الشّبه منتزعاً من أمور عدّة وهو عنصر أساسي في كل منهما.

-التّمثيل جزء من التّشبيه فهو أخصّ والتّشبيه أعمّ منه، ومن البلاغيين من فصل بينهما والبعض الآخر جمع في حين الطرف الثالث مزج بينهما.

-أهمّ المحطّات الّتي مرّ بها مصطلح التّمثيل ابتداءً من عبد القاهر الجرجاني وصولاً إلى القزويني، تُظهر أنّ هذا المصطلح تلقّى عنايةً واضحةً من طرف الباحثين.

-تكمن أهمية التّمثيل في البلاغة العربية في دقّة التّصوير لصدق المشابهة بين المشبّه والمشبّه به، وذلك لإيصال إحساس المتكلّم ومشاعره في تصويره للمعنى المراد إيصاله، فالتّصوير المتحرّك فيه إبرازٌ للمشاعر النّفسية والوجدانية في العناصر الحيّة للصورة.

-بيان قيمة تأثير التّمثيل في كلّ من النقل بين العقل إلى النفس أي من المعقول إلى المحسوس ،ثمّ جمعه بين الأمور المتنافرة وحاجته إلى الفكر،فإنْ اجتمع سببان من هاته الأسباب كان التّمثيل إبداعا والتّشبيه ممتازاً وكانت الصورة روعةً.

-من مظاهر الإعجاز التّمثيلي في القرآن الكريم هو بنية التّمثيل الّتي تكرّرت على نحوٍ لافت في آياته في ضرب الأمثال، وهو مايجري على ألسنة البشر مجرى المثل.

-كما يتجلّى حسن اختيار الألفاظ والأساليب في التّصوير القرآني وبلاغتها، فالتمثيل فنٌّ بلاغيٌ يُسهم في بنية الخطاب، فينتقل بالنّفس من المحسوس إلى المعقول ممّا يزيد الصورة وضوحا ورونقا في النفس.

-إنّ السلوكات الّتي نهت عنها الاستعارة التّمثيلية في الذّكر الحكيم فيها تنفير وتحقير ودعوة للابتعاد عن هاته السلوكات فهي تهوي بالإنسان في جهنّم وجزاءه العقاب، ومن جهةٍ أخرى دعت إلى طباع ومُثل وجب التحلّي بها.

-إنّ توظيف الاستعارة التمثيلية للحواس هو ماجعلها تؤكّد المعنى وتوضح الفكرة في تصوير حال الكافرين بعدم استجابتهم للدعوة والمؤمنين الّذين استجابوا لدين الله تعالى

- رسم الاستعارة التمثيلية صوراً عدّة لكلٍ من المؤمن والكافر، ومقارنتها بين حال المحسن المسيء في بيان فضل الأوّل على الثّاني في الجزاء.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد4، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.

- احمد احمد بدوي، من بلاغة القران، الإدارة العامة والنشر، القاهرة 2005.

- احمد مطلوب، القزويي وشروح التلخيص، منشورات مكتبة النهضة، دار التضامن، ط1، بغداد، 1967.

- احمد مطلوب، فنون بلاغية البيان –البديع، دار البحوث العلمية، الكويت ط1، 1975.

- احمد مطلوب، كامل حسن البصير، البلاغة والتطبيق، جمهورية العراق، ط2، 1999.

- الراغب الأصفهاني أبي القاسم بن محمد، تحقيق محمد سيّد كيلاني، المفردات في غريب القران، دار المعرفة للطباعة والنشر، دت، د ب.

-السيّد احمد الهاشمي، لضبط وتعليق محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1999.

- السيّد احمد الهاشمي، ضبط يوسف الصميلي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، دت.

- الشريف الرضي محمد بن الحسين، تقديم علي محمود، تلخيص البيان في مجازات القران، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986.

- بدوي طبانة، البيان العربية دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، مصر، ط2، 1958.

- سيّد قطب، التّصوير الفني في القرآن، دار الشروق، د ب، د ت.

- سيّد قطب، في ظلال القران، دار الإحياء التراث العربي، ج2، بيروت، ط7، 1971.

- عبد الرّحمان حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها فنونها، الدار الشامية، ودار القلم، ج2، بيروت، 1996.

-عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة فان يوشن بنغازي 1997.

- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1958.

- عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمد شاكر، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992.

- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، د دار النشر، دت، دط.

- عبد الهادي العدل، ضبط عبد السلام أبو النجا سرحان، دراسات تفصيلية شاملة عبد القاهر الجرجاني في التشبيه والتّمثيل، التقديم والتأخير، دار الفكر الحديث، ط2،د ت.

- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1985.

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي، تحقيق عبد الحميد الهنداوي جامع البيان في تفسير القران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- محمد حسن شرشر، لباب البيان، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، د ب، ط2، د ت.

- محمد حسين علي الصغير، أصول البيان في القران الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1994.

- محمد علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.

الرسائل الجامعية:

- الهام إسماعيل حرارة، الصورة البيانية في كتاب روح البيان في تفسير القران لإسماعيل حقي البروسوي، رسالة تخرج درجة الماجستير غزة، 2013.

- صفاء حسني عبد المحسن الترك، الاستعارة التّمثيلية في القران الكريم، جامعة النجاح الوطنية للدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2011.

- فايزة حسن صالح يحي احمد، التشبيه التّمثيلي في الصّحيحين، رسالة مقدّمة لنيل الماجستير في البلاغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1985-1986.

- نصيرة بلحسيني، الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف – عليه السلام- أنموذجا، رسالة مقدّمة لنيل الماجيستير في الأدب العربي، تخصّص نظرية الأدب وعلم الجمال، تلمسان، 2005-2006.

المجلات:

- زينة غني عبد الحسين لخفاجي، بلاغة الأساليب المتحدّثة عن القرآن، مجلّة بابل الدّراسات الإنسانية، عدد 3، 2013.

- لطفي عمر بن الشيخ أبو بكر، اثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، عدد2، مجلد7، 2014.

- نصر الدّين إبراهيم احمد حسين، الإشارات البلاغية في القران الكريم علم البيان أنموذجا، ماليزيا، د عدد د ت.

-عبد الرحمان بوزنون، مجلة جماليات التشبيه التمثيلي في القران الكريم ب البلاغية، مجلة الحكمة الدراسات الإسلامية، القاهرة عدد20،2011.

الفهرس

شكر و تقدير

الإهداء

دعاء

المقدمة.....**أ-ج**

المدخل: الصّورة البيانية في القرآن الكريم.....12

الفصل الأول: التّمثيل مفهومه و قيمته البلاغية.....13

- ***المبحث الأول:*** مفهوم التّمثيل في البلاغة العربية.

- *المطلب الأوّل*: المعنى اللّغوي.....14

-*المطلب الثاني:* المعنى الاصطلاحي.....15

1-اتجاهات البلاغيين في مصطلح التمثيل.....15.

أ-اتجاه الفصل بين التمثيل والتشبيه.....15

ب-اتجاه الربط بين التمثيل والتشبيه.....17

ج-اتجاه المزج بين التمثيل والتشبيه.....20.

2-أهم المحطات الأساسية لمصطلح التّمثيل.....22

أ-عبد القاهر الجرجاني.....22

ب-السكاكي و القزويني.....22

ج-الموازنة بين الأقوال.....23.

-***المبحث الثاني***: أهمية التمثيل وأسبابه وتأثيره.....25

-*المطلب الأول*: أهمية التمثيل في البلاغة العربية.....25

-*المطلب الثاني*: أسباب تأثير التمثيل.....29

الفصل الثاني: بلاغة الأساليب التمثيلية في القران الكريم

- ***المبحث الأول***: التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم.....37

-*المطلب الأول*: هندسة التشبيه التمثيلي.....37

-*المطلب الثاني*: موضوعات التشبيه التمثيلي ودلالاته.....48

-***المبحث الثاني***:الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم.....53

-*المطلب الأول*: هندسة الاستعارة التمثيلية.....53

-المطلب الثاني: موضوعات الاستعارة التمثيلية ودلالاتها.....61

الخاتمة.....76

قائمة المصادر والمراجع.....79

فهرس الموضوعات.....84